التسجيل الدولي ISSN 2305-591X

٦٧

ينابيع

Yanabee'a

مَجلّةٌ ثَقافيّةٌ تُعنى بِنَشرِ فِكرِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام/ السَّنة ١٢/ العَدَد ٦٧ ربيع الأول - ربيع الثاني ١٤٣٧هـ/ كانون الأول - كانون الثاني ١٥ - ٢٠١٦م

مرقد
السيد أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد
نفحة علوية في البصرة الفيحاء

ينابيع ٦٧

مجلة ثقافية تعنى بنشر فكر أهل البيت عليهم السلام

تصدر كل شهرين عن

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية

1Z30959

المشرف العام
السيد عبد الحسين القاضي

رئيس التحرير
الحاج فلاح حسن علي العلي

مدير التحرير
حيدر الجد

سكرتير التحرير
حسين جودي الجبوري

التدقيق ومراجعة النصوص
سعد فخر الدين

التصميم والإخراج الفني
وسام مسلم المظفر
مسلم شاكر مالك

كرافيك
عباس رفيعي

التنضيد الإلكتروني
ميثم عبد علي الزاملي

العراق ـ النجف الاشرف ـ حي السعد

العنوان الإلكتروني: www.Yanabee.org

البريد الإلكتروني: Yanabee_Mag@Ymail.com

ص.ب (٥٥٠) موبايل: ٠٧٨٠٣١٧١٥٠٥

أسعار المجلة: العراق ١٠٠٠ دينار. الكويت ٣٥٠ فلساً. الأردن ٧٥٠ فلساً. المملكة العربية السعودية ٣ ر.س. سوريا ٧٥ ل.س. وباقي الدول ١,٥ دولار أو ما يعادله.

قيمة الاشتراك السنوي لستة أعداد: في العراق للمؤسسات ١٢٠٠٠ دينار وللأفراد ٨٠٠٠ دينار وخارج العراق ١٠ دولار أو ما يعادلها.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٨٨٠ لسنة ٢٠٠٦

مسجلة في نقابة الصحفيين العراقيين برقم ١٣٩ في ١٦/ ١١/ ٢٠٠٥م

- المقالات تعبّر عن رأي أصحابها.
- يخضع ترتيب المقالات إلى ضوابط فنية.
- لا تعاد المقالات إلى أصحابها سواء انشرت ام لم تنشر.

قصيدة في ذكرى مولد الرسول الأعظم ﷺ

«أنوار الفلاح»

الشاعر: مسلم مصارع الحساني

فلاحك فاق في الكون الفلاحـا ... وعطـرك بالهـدى الأخّـاذ فاحـا
لبـدرك تعـزف الأيـام مجـدًا ... أذا ما ضوؤه في الكـون لاحـا
نعاهد نهجك الأسـمى بقلب ... إلى لقيـاك ينشـرح انشـراحـا
بـراك الله وهاجـاً منيـراً ... يؤجج نـور طلعتـك الصباحـا
دعـوت إلى الهـدى حتى توارى ... غثـاء الشر وانـزاح انزياحـا

عبيـــرك منتهـــى جنات عدن ... يشـدُّ النفـس شـــوقاً وآرتياحا
لمقـدمـك القلـوب تموج حبـــاً ... فوجهـك عن حبيبٍ ما أشاحـا
لك الله المهيـمـــن من كـريـــم ... يســـــامرنا غـدواً أو رواحـا
رســـــولٌ قد عفا عمّن تمادى ... ولم يُعمـل بأمته الســـــلاحا
ســـــجاياك العظيمة أذهلتنا ... كما مـلأت مناقبـك البطـــاحـا
وصـالك أزهـر المغـنى نمـاءً ... به الآمـال تتشح اتشـــــاحـا
لقد أدهشـــــتنا قـولاً وفعلاً ... ووحياً واجتهـاداً واقتراحـــا
إذا اشـتجر الفضـاء بنا نزاعـاً ... منعت بحزمك الفتن اللُّقاحـــا
لكل فضـيـلـة قد كنت ندبـاً ... يضمّد صوت مقدمك الجـراحا
أهيب بظامئي قـومـي وفـاءً ... بأن يـردوا شـمائـلك المـلاحـا
عبابا حيث ترتشـــف المـآقي ... جمالاً لم يـزل عـذباً قـراحـــا
ظهيرٌ والمناهل تســـــتقيه ... رواءً يشـرق المـــرأى مباحـا
محمدٌ المنـــى أحيـــا مـــداهُ ... يباب الإبتهـاجة حـين لاحـا
مشى فاستنبتَ الآفـــاق نشراً ... يسرُّ الـكـون رَوحـــاً وانفتاحـا
حـيـاةٌ أفعمت روض التفانـي ... بـــأروع مـا رأت عـينٌ صلاحـا
مدحتك فازدهى بالمدح شعري ... فحقـقَ فـي تقـدمـه نجـاحـا
دنـوت إلـى نـداك الغـمر حتى ... تألق بالهوى قلبي كفاحـــا

أهم المواضيع

التوسُّع الدلالي في القران الكريم
د. يعقوب يوسف الياسري

القرآنيات
ص (١٠)

واحة الأدب
ص (٦٤)

التقديم والتأخير وبناء النص الأدبي
د. مرتضى عبد النبي الشاوي

ظاهرة التضاد في القرآن الكريم
م.م.مصعب مكي زبيبة

القرآنيات
ص (١٨)

إضاءات
السيرة
ص (٨٦)

الإمام الباقر عليه السلام معدن الحلم وباقر العلم
فارس رزاق الحريزي

ابلاغية الصوت في نهج البلاغة
د. ظافر عبيس الجياشي

قراءات
ص (٢٨)

طروحات
عامة
ص (١١٤)

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقرآن
أ.م.د خليل خلف بشير

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

مع الفقيه
ص (٤٦)

طروحات
عامة
ص (١٢٤)

جهود الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
في التقريب بين المذاهب والأديان
م .د. ثائر عباس النصراوي

كلمة العدد

جوائز قيمة.. لمن؟
المشرف العام..... ٨

قرآنيات

التوسُّع الدلالي في القران الكريم
د. يعقوب يوسف الياسري..... ١٠
ظاهرة التضاد في القرآن الكريم
م.م.مصعب مكي زبيبة..... ١٨

قراءات

المسلمون بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب
م .م محمـــد رضا الشريفـــي..... ٢٢
ابلاغية الصوت في نهج البلاغة
د. ظافر عبيس الجياشي..... ٢٨

آمن الرسول

مفهوم العبادة وارتباطها بالنيّة
حسين جودي الجبوري..... ٣٦
قبسٌ من مناجاة الإمام الكاظم عليه السلام
أ.م.د.علي مجيد البديري..... ٤٠

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى
سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)..... ٤٦

استطلاع مصور

مرقد السيد أحمد بن عيسى بن زيد رضي الله عنه
مسلم عقيل الشاوي..... ٥٤

واحة الأدب

التقديم والتأخير وبناء النص الأدبي
د. مرتضى عبد النبي الشاوي..... ٦٤
التلميذ المثالي
بنت العراق..... ٧٠
شعر التوبة والمغفرة عند صفي الدين الحلي
حسن جميل الربيعي..... ٧٢

إضاءات السيرة

الإمام الباقر عليه السلام معدن الحلم وباقر العلم
فارس رزاق الحريزي..... ٨٦

للفضيلة نجومها

السيد محمد جمال الهاشمي
حيدر كاظم الجبوري ٩٢
عمار بن ياسر يجلي الحقيقة
السيد معد البطاط..... ٩٩

في النفس والمجتمع

الأعياد عند الأمم والديانات وعند المسلمين
ساجد صباح العسكري..... ١٠٤
حرمة الأعراض في الإسلام
حسين علي ثامر الكعبي..... ١١٠

طروحات عامة

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقرآن
أ.م.د خليل خلف بشير..... ١١٤
ثنائية العلم والعمل عند أصحاب الأئمة عليهم السلام
د.علي عبدالزهرة الفحام..... ١١٩
جهود الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
في التقريب بين المذاهب والأديان
م .د. ثائر عباس النصراوي.... ١٢٤

حكاية مستبصر..... ٥٠
في الذاكرة..... ٧٦
وقفة مع الذكرى:..... ٨٠
أجوبة مسابقة العدد (٦٥) وأسماء الفائزين.... ١٢٨
مسابقة العدد (٦٧)..... ١٢٩

كلمة العدد

جوائز قيمة.. لمن؟

بسم الله الرحمن الرحيم

في الوقت الذي تعيش فيه أمتنا صراعاً مريراً تدعمه التحالفات البغيضة التي عملت على زرع الفتنة في أرجاء الأمة الإسلامية، حتى أصبحت المعارك الدامية والاعتداءات السافرة ممزقة كيان الأمة الإسلامية، وكانت المنطقة عبارة عن لهيب نار تتقاذفها أمواج الفتن وتزعزع استقرارها الأيدي الخبيثة، فتشرد الملايين من أوطانهم، وقتل الآلاف، وسبي المئات من الأطفال والنساء على أيدي العتاة المردة.

ففي هذه المرحلة الراهنة التي قد تعد من أخطر المراحل في تأريخ الأمة الإسلامية المعاصر نلاحظ أصابع الإثارة تلعب بين الحين والآخر بمقدرات الأمة، وتحاول العمل على تمزيق ما تبقى فيها من المعالم والقيم، وإذكاء الفتنة الطائفية مرة بعد أخرى، ومن الغريب ما نراه من المحاولات المتكررة التي تصدر من الطبقة المثقفة التي يرجى منها لملمة الوضع، وجمع الكلمة، ولو من أجل مصلحة بلدة معينة، أو مكان أو قومية أو فئة معينة، وإذا بها تأجج ناراً من جديد، وتحاول إذكاءها بطرح مشاريع تحسبها توعوية ـ لو نريد أن نحسن الظن ـ وكأنها تسهم بشكل كبير في درء الخطر المحدق بالأمة الإسلامية من الصراعات الطائفية الواسعة التي تشهدها البلاد الإسلامية اليوم، ولكنها لا تخرج في واقع الحال عن كونها مشاريع ذات طابع طائفي مقيت، ينطوي في طياته اعتداء سافر، وتجاهل للملايين من أبناء هذه الأمة.

وتأتي هذه المحاولة ضمن المحاولات المتكررة عبر تاريخنا المعاصر خصوصاً في هذه الحقبة من الزمن، حيث انتشار التشيع بشكل كبير، ووضوح المعالم للطائفة الشيعية الحقة بشكل لا يقبل الشك حتى أصبحت الدعوة للمذهب لا تحتاج إلى أكثر من النظر إلى الطقوس الدينية والشعائر التي يمارسها أهلها، وكان ذلك مغنياً عن النظر في الأدلة ومحالة استخراج الحق منها. وكأن الخطر المحدق بالأمة الإسلامية يكمن في انتشار التشيع، ووصوله إلى البقاع الإسلامية المترامية الأطراف؟ حتى يلتجئ الأزهر ـ الذي يعتبر مؤسسة دينية ذات طابع إقليمي ـ إلى عقد مسابقة ثقافية عن خطر التشيع، ونشره في المجتمع السني، ويضع قيماً مالية عالية للفائزين بهذه المسابقة، ولم يقتصر على الكتابة وخصوص الجانب العلمي لهذه المسابقة، بل

عممها إلى الجانب الفني وعمل المسرحيات والتمثيليات، مضافاً إلى الجانب الوجداني من الشعر والخطب النثرية التي تتناول مزاعم الشيعة، وطرق مواجتهم، مع القصة القصيرة المتضمنة لصديقين اعتنق أحدهما المذهب الشيعي، وجهود الآخر في رده إلى المذهب السني..

ولعمري... يقف الناظر متحيراً كيف يصف هذه الحملة الغريبة على طائفة هي الأولى فيما قدمته وتقدمه من الدماء والتضحيات فداء للفتنة الطائفية التي تعصف بالبلدان الإسلامية اليوم وقبل اليوم..؟!

وكيف لا يعتبر الخطر في الهجمة الشرسة ذات الطابع الإرهابي للإسلاميين المتشددين والتي ينبغي الوقوف ضدها ومحاولة تحجيمها والسيطرة عليها بعد سريان نارها في الهشيم، ووصول اعتداءاتها إلى أبعد بقعة من الأرض، لا تفرق بين شيعي وسني، وبين مسلم وغيره من الملل. ويعتبر الخطر في المد الشيعي الذي لم يحمل في طياته سلاحاً ولا وحشية ولا عنفاً.. بل كل ما يحمله هو السلم والحق والدعوة إلى الهً وإلى رسوله وأهل بيته الأطهار صلوات اللع عليهم أجمعين؟!

لماذا تزرع هذه المؤسسات التي تعرف حقيقة الطوائف الدينية بالدقة، وتعرف معطياتها وأصولها روح البغض والكراهية بين أبناء أمة الإسلام، وتحاول جرّ الطوائف الأخرى لعمل مشابه حتى تتسع الرقعة وتكبر الهوّة بين المسلمين الذين أصبحوا طعمة هشة للآخرين بكل المقاييس، اجتماعياً .. وثقافياً ..واقتصادياً.. وغير ذلك..؟!

لماذا هذا التجاهل لمشاعر طائفة ذات نسبة سكانية تقدر بربع عدد المسلمين في العالم أو أقل بقليل..؟! لماذا يصدر هذا المشروع الطائفي المقيت من مؤسسة دينية يفترض بها أن تعمل على وحدة المسلمين.. لا تمزيقهم وسلب جميع أواصر الألفة والتعايش السلمي واحترام الآخر..؟! إذا كان هذا المشروع يصدر من مثل الأزهر فكيف بالمؤسسات ذات الطابع الإسلامي المتشدد ورؤيتها للوجود الشيعي في الحواضر الإسلامية وغيرها؟! هل ـ يا ترى ـ يسلم الأفراد العزل غير المعنيين بالجوانب السياسية أو الاجتماعية من الاعتداءات جراء ما تزرعه هذه المشاريع الهادفة من الكراهية وبغض الآخر؟! ومن يتحمل مسؤولية ذلك؟! هل وقف الأزهر يوماً ما ولاحظ أن من ورائه تأريخاً يكتب وزمناً يسجل هذه النقاط ويتحمل مسؤوليتها ـ حينئذٍ ـ تلك الشخصيات الإسلامية الرنانة؟! هل لاحظ أن في يوم ما تتعرى الوجوه وينكشف المستور ويتحمل القائمون عبء هذه الحملات الفاشلة؟! ليت شعري ما كنت أتصور أن تصل السذاجة واللامبالاة إلى هذا الحدّ لتوضع جوائز على من يعتدي على معتقدات أبناء ملته.. ولله أمر هو بالغه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

■ المشرف العام

قرآنيات

التوسع الدلالي في القرآن الكريم وتطبيقاته في روايات أهل البيت عليهم السلام

د. يعقوب يوسف الياسري
جامعة ذي قار / كلية التربية الانسانية

المرتكزات النظرية للتوسع الدلالي

إنَّ من أبرز المرتكزات النظرية التي قدمها الدارسون القرآنيون لتحقيق التوسع في المعنى - على مستوى المفردة القرآنية - كان عبر آليات المجاز[١] والمشترك اللفظي[٢] والرمز[٣] وغيرها من الآليات والمرتكزات النظرية التي يمكن رصدها دليلاً على التوسع الدلالي في النص القرآني.

وإذا ما جئنا إلى روايات أهل البيت عليهم السلام فإننا سنجد - وبكل وضوح- تأكيداً من أهل البيت على شمول القرآن واستيعابه لكل شيء، قال الإمام الباقر عليه السلام: (إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدل عليه)[٤] وغيرها من الروايات المستفيضة عنهم التي تؤكد هذه الشمولية[٥]، وقد جاء تأكيد هذا الأمر عبر ما عرف عنهم بروايات الجري فعن الباقر عليه السلام قال: (إن القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقوام وماتوا ماتت الآية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين)[٦] وعنه أيضاً عليه السلام قال: (ولو إنَّ الآية إذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية لما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض، ولكل قوم يتلوها هم منها من خير أو بشر)[٧] وفي رواية أخرى عنه عليه السلام: (إنَّ آياته تجري كما يجري الشمس والقمر)[٨]

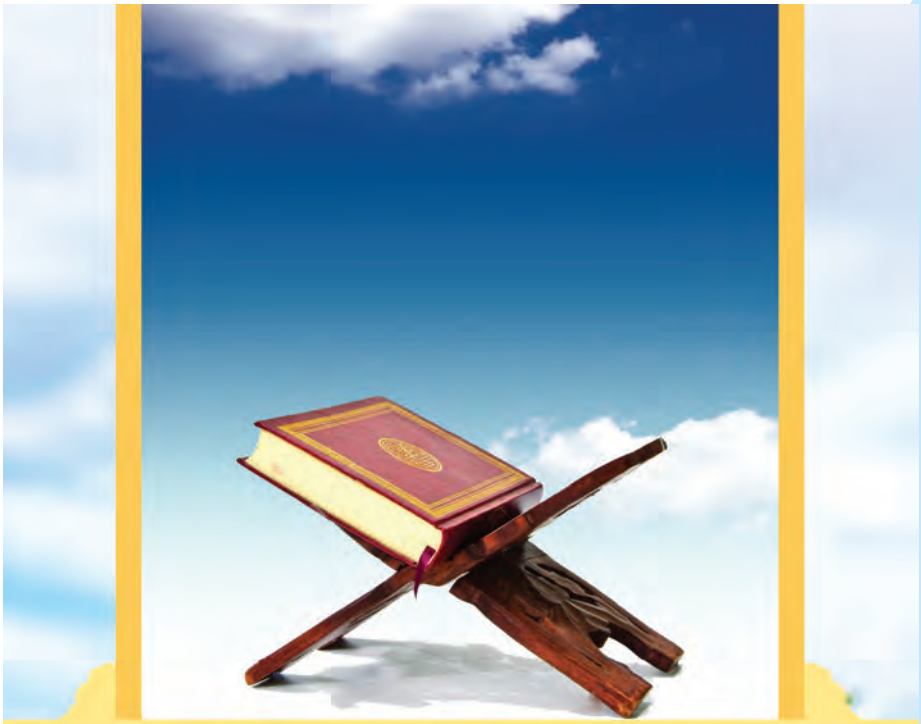

قال الإمام الباقر (ع) : **(إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله وجعل لكل شيء حداً ، وجعل عليه دليلاً يدل عليه)**

المصدر : بصائر الدرجات

ومفاد هذه الروايات هو إنَّ فاعلية القرآن وحيويته تكمن في التعاطي معه على أساس الجري والانطباق، ومنها اقتبس مصطلح الجري الذي يستبطن معنى الحركة والتجديد والديمومة، فكما أن الليل والنهار والشمس والقمر في تجدد دائم فكذلك هو القرآن، فالمراد من الجري - على وفق هذه الروايات - هو سريان أحكام القرآن وتوصيفاته على كل من كان واجداً لخصوصياتها بغض النظر عن الزمان والمكان، وهذا هو معنى الانطباق الذي هو تطبيق أحكام القرآن وتوصيفاته على كل من كان منطبقاً لخصوصيات أحكامه وتوصيفاته[٩]، فالآية (لا تختص بمورد نزولها بل تجري في كل مورد يتحد مع صورة النزول ملاكا كالأمثال لا تختص بموردها الاولى، بل تتعداها لما يناسبها)[١٠] ولم يستعمل هذا المصطلح في مناهج التفسير بصورة واضحة، إلا عند المتأخرين من مفسري الإمامية، ولا سيما الطباطبائي والسبزواري .

إنَّ فكرة الجري والانطباق تتفق مع نظرية وحدة المفهوم وتعدد المصداق - التي بيناها سابقاً - والتي تبناها عدد من المتخصصين بالشأن القرآني، وهذا يدفعنا إلى القول إنَّ التوسع الدلالي المبني على هذه النظرية يختلف في آلياته عن التوسع الدلالي المبني على آليات المجاز، والمشترك اللفظي، إذ إنَّ المجاز والمشترك اللفظي يستلزم منه وجود مفهومين أو أكثر لا مفهوما واحداً، إذ إنه في المجاز حقيقي ومجازي وفي المشترك اللفظي تكون جميع المفاهيم (المعاني) حقيقية[١١]، في حين أننا التزمنا في نظرية وحدة المفهوم بمفهوم واحد، وهذا يعني (أن المصاديق اللاحقة لا تدخل من باب المجاز، وإنما هي مصاديق حقيقية فعلية)[١٢]

والواقع أنَّ هذا الارتكاز النظري الذي قدّمه أهل البيت عليهم السلام لتحقيق شمولية القرآن وسعته تنسجم تماماً مع فكرة التوسع الدلالي في المعنى، إذ إن فكرة الجري تستلزم من المفسر متابعة مستمرة لطبقات المعنى ومحاولة استنطاق طاقات النص، إذ إن تفعيل فكرة الجري (تكشف دلالات النص التي لا تظهر لكل ذي فهم وتستلزم فهماً خاصاً قادراً على استحضار إمكانات النص الذي ينطبق بها إيحاءً بما يمثل استبطاناً يستدعي آفاقاً واسعة يتحرك في إطارها)[١٣] والتعاطي مع ألفاظ القرآن - على وفق هذه القاعدة التفسيرية - يكون بنحو لا يحيّد تلك الألفاظ بدلالات لغوية أو عرفية معينة مما يؤدي إلى تحجيم المعنى وتقييده في جهة معينة، ويظهر دور هذا الضابط التفسيري واضحاً في توسيع المعنى في الممارسة التطبيقية لعملية التفسير كما جاء في الروايات المنسوبة إلى أهل البيت عليهم السلام وهي تشهد - كما سيتبين لنا - أنَّ هذا اللفظ أو ذاك شامل عرفاً وظاهراً للمصاديق المتعددة له، وأنّ هذه المصاديق المتعددة والموارد المتكثرة تحفز الذهن على انتزاع مفهوم عام تلتقي عنده كل هذه المصاديق ويصح انطباقه عليها جميعاً مع الاحتفاظ لكل مصداق بخصوصية تميزه عن المصداق الآخر، وهذا المعنى الانتزاعي هو ما عبّرنا عنه بالمفهوم.

فعلى سبيل المثال حينما نتتبع الروايات التي فسرت (الصراط) في قوله تعالى: (**اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ**) (الفاتحة:٦) نجد أنها ذكرت له دلالات

متعددة، ففي رواية إنه، صراط الأنبياء وفي ثانية انه صراط محمد وآله، وفي ثالثة إنه علي بن أبي طالب[١٤]، ومن مجموع هذه الروايات نستخلص مفهوماً عاماً واحداً لـ (الصراط)، وهو الطريق، يصح انطباقه على كل هذه المصاديق من دون أنْ تكون متعارضة فيما بينها، فكل واحد منها يمثل طريقاً إلى الله .فهذا المنهج يعني (إمكانية الوصول إلى ما خفي من المعاني، أو ما خفي من المصاديق، بعد التوجه إلى المعاني الظاهرة، الحاصلة من الألفاظ المفردة وتراكيبها)[١٥] وأمثال ذلك كثير في روايات أهل البيت عليهم السلام.

التطبيقات الروائية للتوسع الدلالي

بعد أنْ عرفنا أنَّ الجري والتطبيق أو نظرية وحدة المفهوم وتعدد المصداق هي الفكرة الكاشفة عن ظاهرة التوسع في بعدها النظري، سنحاول هنا أنْ نعمق هذه الرؤية من خلال الجانب التطبيقي الذي كشفته هذه الروايات، ويتبين ذلك من خلال عرض عدد من مظاهر هذا التوسع على سبيل المثال لا الحصر وعلى النحو الآتي:

١- كشفت لنا روايات متعددة أن المفهوم (المعنى) لعدد من الألفاظ لا ينحصر بدلالاته المادية الحسية، بل يتجاوزها إلى دلالات معنوية مجردة، وهذا التوسع الدلالي يُعد من مظاهر التحول الدلالي فهو(انتقال من المعاني الحسية إلى المعاني المجردة)[١٦] فقد أكد علماء اللغة المحدثون أنَّ دلالة الألفاظ بدأت بالمحسوسات ثم تطورت إلى الدلالة المجردة بتطور العقل الانساني ورقيه، فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجردة وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال، وذلك أنَّ اللغة تنتقل في تطورها من الإشارة إلى العبارة، ومن التجسيد إلى التجريد[١٧].

ومن ذلك لفظ (الثمرات)، إذ إن الثمر في اللغة يطلق على كل ما يتطعم من أعمال الشجر، الواحد ثمرة، والجمع ثمار وثمرات[١٨]، ويطلق الثمار ويراد به المال أيضاً[١٩]، وهذا يدل على أن دلالته في أصل اللغة دلالة مادية حسية إلا أننا نلحظ أنّ الإمام الصادق عليه السلام وسّع مفهوم هذا اللفظ ليشمل الدلالات المعنوية عند تفسيره الثمرات في قوله تعالى: (**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ**)[٢٠] قال: (إنما هي ثمرات القلوب أي حببهم إلى الناس ليثوبوا اليهم)[٢١] والإمام لا يريد التخصيص بهذه الدلالة، إنما (هذا من باب التطبيق على أفضل الأفراد لا التخصيص)[٢٢] وهذا يدل - كما يرى صاحب تفسير الأمثل - على (أنَّ معناها واسع يشمل النعم المادية والنعم المعنوية)[٢٣]، ولذلك فسّرها المصطفوي بما يضمن لها هذا التوسع الدلالي قال: (إنَّ الثمر عبارة عن كل ما يتحَصل ويتولد عن شيء سواء كان مما يتطعم أم لا)[٢٤] وهذا يعني أنه يشمل المحسوسات، وكذلك في الثمرات المعنوية المعقولة، فإن ثمرة الأعمال الصالحة تحقق النورانية في القلب وحصول حقيقة العبودية والإخلاص[٢٥].

وهناك شواهد كثيرة يضيق المقام بذكرها كلفظة (الحرث) ودلالاتها المادية المحسوسة المتمثلة بالزرع، إلا أن روايات أهل البيت عليهم السلام وسعت من دلالتها إلى (الدين).

٢- كشفت لنا مجموعة كبيرة من

الروايات أَنَّ ألفاظ القرآن لا تتحدد مداليلها وتنحصر بموارد النزول، وهذا ما ينسجم تماماً مع ما قرره الاصوليون من أَن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا يعني (أن سبب النزول ليست وظيفته تفسيرية، وانما وظيفته الاساسية تطبيقية، أي تحديد المصداق الاول الذي انطبق عليه النص، ولذلك فليس من الصحيح حصر النص بمصداقه الأول)[٢٦] وهذا يتوضّح جليا من خلال روايات الجري التي أشرنا إلى بعضها - فيما مضى -، وكشفت تطبيقاتهم الروائية عن ذلك، فعلى سبيل المثال نرى أن مفهوم (أهل الذكر) في قوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أهل الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**) (النحل: ٤٣) عُني به في روايات متعددة: أهل البيت عليهم السلام وهذا توسيع دلالي يتجاوز مورد النزول، إذ إنه لا ينطبق إلا على أهل الكتاب، إذ إن الآية تمثل خطاباً لمشركي مكة بالرجوع إلى أهل الكتاب - وذلك أنهم كانوا يصدقونهم فيما كانوا يخبرون به عن كتبهم - لإثبات أن النبي صلى الله عليه وآله هو رجل أوحى الله اليه كسائر الانبياء من قبله إلا أن نصوص أهل البيت عليهم السلام التي فسرت (أهل الذكر) بـ (أهل البيت) كشفت لنا عن بقاء صلاحية انطباق النص القرآني على موارد أخرى تتوافر فيها ضوابط الانطباق سواء أكانت في عصر النبي أم بعد ذلك، إذا لوحظ فيها ملاك الرجوع مع رفع خصوصيات المورد، ففي عصر الأئمة عليهم السلام كانوا هم مرجعية الأمة، ولذا كانت الأمة ترجع إليهم وتأخذ عنهم[٢٧]، وعليه فالآية - كما يرى السيد الطباطبائي - (إرشاد إلى أصل عام عقلائي وهو وجوب رجوع الجاهل إلى أهل الخبرة)[٢٨].

٣- وردت روايات كثيرة وسّعت من مداليل عدد من الألفاظ القرآنية التي تحيّدت بمعان معجمية ثابتة إما بسبب غلبة الاستعمال أو بلحاظ مصاديقها البارزة أو بحسب مورد النزول، فحصل أنس ذهني بهذه المداليل واكتسبت صيغتها الثابتة في النسق التفسيري العام فيبادر المفسر إلى إثبات تلك المعاني بشكل تلقائي، في حين أنّ روايات أهل البيت عليهم السلام كسرت هذا الأنس الذهني و وسعت مداليل هذه الألفاظ بلحاظ ما قدّمته من مصاديق أخرى لا يمتنع أن ينطبق عليها اللفظ بحسب اللغة، وهي وإنْ كانت مصاديق غير بارزة في مورد النزول، إلا أن رؤية أهل البيت عليهم السلام إلى القرآن الكريم وما يمتاز به من شمولية معرفية تحتم عليهم أن لا يجمدوا على دلالات مورد النزول ، إذ تتحول الكلمة القرآنية في خصوصياتها وسياقها وأساليب استعمالها في القرآن الكريم إلى عالم مكتنز ومفهوم ممتلئ بالإيحاءات و الدلالات التي تناسب طبيعة العصر ومداخلات الواقع.

ومن أمثلة هذا التوسع الدلالي لفظة (سكر) إذ إنّ لها في أصل اللغة دلالة واسعة تنطبق على مصاديق متعددة، فـ (سكر) - كما يرى ابن فارس - (أصل واحد يدل على حيرة، من ذلك السكر من الشراب)[٢٩] وقد يكون ذلك - كما يذكر الراغب الأصفهاني – (من الغضب، أو العشق، ومنه سكرات الموت)[٣٠]، وبلحاظ هذه الدلالة الواسعة جرى استعمالها في النص القرآني، قال تعالى: (**وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**) (الحج: ٢) وكقوله تعالى: (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**) (الحجر: ٧٢)

وغير ذلك من الموارد القرآنية التي أخذت الحيرة (المفهوم العام) ملحوظا في مصاديقها المتعددة، إلا أننا حين نأتي إلى واحد من موارد استعمالها وهو قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ)** (النساء: ٤٣) نجد أنّ مشهور المفسرين ذهبوا إلى أنّ المقصود بـ (السكارى) هم الذين يسكرون من شرب الخمر[٣١]، وهو بلا شك واحد من مصاديق المفهوم الواسع لـ (السكر) وليس مخصوصاً به إلا أن تقوم قرينة على التخصيص، ولم يحتمل المفسرون إرادة المصاديق الأخرى لمفهوم السكر، وما ذلك إلا بسبب غلبة الاستعمال، قال الراغب: (السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب)[٣٢] فضلا عمّا أيّده من مأثور القول[٣٣] ليشكل مع غلبة الاستعمال سلطة معرفية يترشح عنها جمود على مصداق واحد يُحتكر به دلالة مفهوم واسع في أصل استعماله اللغوي.

وحينما نأتي إلى روايات أهل البيت عليهم السلام نجد أنها تعاملت مع مفهوم هذا اللفظ على وفق أصله اللغوي الواسع، وذلك حين أوردت مصداقاً آخر إلى جانب مصداقه المشهور يصح انطباق مفهوم اللفظ عليه، وهو النوم[٣٤].

وهنا لا بدّ لنا من أنْ ننبه أنّ ظاهر رواية الإمام الباقر عليه السلام تخصص السكر المراد في المقام بالنوم قال عليه السلام: (وليس كما يصف كثير من الناس يزعمون أنّ المؤمن يسكر من الشراب، والمؤمن لا يشرب مسكراً ولا يسكر)[٣٥].

٤- حرّكت مجموعة من الروايات الألفاظ ذات المدلول التاريخي (بلحاظ المصداق التاريخي) لتسع مدلولات معاصرة (بلحاظ مصاديق خارجية جديدة) فلفظ السامري له مدلول - في الاستعمال القرآني - تاريخي، إذ تجسد في شخص من بني إسرائيل، أضل قوم موسى، وفتنهم بعبادة العجل، وقد أخبر الله نبيه موسى بفعله هذا، فقال: **(قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)** (طه: ٨٥) لكن روايات أهل البيت عليهم السلام وسّعت من هذا المدلول حين جعلته ينطبق على غيره، إذ ورد في الروايات أن الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته اطلقوا وصف (سامري هذه الأمة) على آخرين كانوا في أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لهم دورهم الفعّال في التضليل وخلق الفتن وتفرقة الأمة[٣٦].

ونظير ذلك تلك الرواية التي عبّر فيها الإمام علي عليه السلام عن الجمل الذي كان موجوداً في معركة الجمل بأنه (شيطان) وذلك حين رأى أنّ أصحاب الجمل يستبسلون في الدفاع عن جملهم، فهجم الإمام علي عليه السلام وأصحابه حتى وصلوا إلى الجمل فعقروه، وبعد أن أحرقوه ذر رماده في الهواء لئلا يفتتن به البسطاء، ثم قال عليه السلام: (لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني اسرائيل)[٣٧] ثم مدّ بصره نحو الرماد الذي تناثر في الهواء وتلا قوله تعالى: **(وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً)** (طه:٩٧) وهذا يعني أنّ لفظة (العجل) هي الأخرى لها مدلول عام، إذ هي ترمز للفتنة والتضليل والتفريق والابتزاز ولا تجمد على مصداقها التاريخي، ولذلك نظائر كثيرة يطول المقام بذكرها، وكلها تؤكد أن مصاديق الآيات لا متناهية، وكل هذه التطبيقات الروائية هي تجسيد لرؤية أهل

البيت عليهم السلام في الجري ومنها حديث فضيل بن يسار، قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية: ((ما من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن، فقال ظهره تنزيله وبطنه تأويله منه ما مضى ومنه مالم يكن))[٣٨]■

---

١) ينظر: الخطاب النقدي عند المعتزلة: ١٦٩
٢) ينظر :الجملة العربية والمعنى، د٠ فاضل السامرائي :١٦٤ وما بعدها
٣) ينظر: الإسلام والادب، د ٠ محمود البستاني: ١٧٨
٤) البرهان: ١/ ٣٥
٥) ينظر: نفسه: ١/ ٣٥-٣٧
٦) البرهان: ٤/ ٢٥١
٧) م.ن
٨) م.ن: ١/ ٥٠
٩) ينظر: شؤون قرآنية، الشيخ محمد صنقور: ١/ ١٥
١٠) الميزان: ٣ / ٦٧
١١) ينظر: المزهر ، السيوطي: ١/ ٣٦٩
١٢) منطق فهم القرآن :١/ ٢٢٨
١٣) مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني: ٩٢
١٤) ينظر: البرهان :١١٨ - ١٢٢
١٥) قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، محمد فاكر الميبدي: ٣٠٠
١٦) مبادئ اللسانيات: ٤٠٢
١٧) ينظر: دلالة الألفاظ ،د٠ إبراهيم أنيس و علم اللغة، علي عبد الواحد وافي: ١١٦
١٨) مفردات ألفاظ القرآن: ١٧٦(ثمر)
١٩) ينظر: الصحاح: ٢/ ٥٢٧(ثمر)
٢٠) البقرة: ١٢٦
٢١) البرهان: ١ / ٣٣١
٢٢) مواهب الرحمن: ٢ / ٣٢
٢٣) الأمثل: ١ / ٢٥١
٢٤) التحقيق في كلمات القرآن: ٢ / ٣٤(ثمر)
٢٥) ينظر: م.ن.
٢٦) منطق فهم القرآن: ١ / ٣٨٧
٢٧) ينظر: منطق فهم القرآن: ١ / ٩٩
٢٨) الميزان: ١٢ / ٢٥٨
٢٩) معجم مقاييس اللغة : ٢/ ٨٩(سكر)
٣٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٦١(سكر)
٣١) ينظر: ينظر: تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير: ٢/ ٣٠٨ و فتح الغدير :٥٤٠/١ و البحر المحيط: ٦٤٧/٣٢ و: تفسير الجلالين، ١٠٨/١ وروح المعاني: ٤/ ٦٢
٣٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٤١٦
٣٣) ينظر: الدر المنثور: ٢/ ١٢٩
٣٤) ينظر: البرهان: ٢/ ٢٢٨
٣٥) البرهان: ٢/ ٢٢٨
٣٦) البرهان :٥/ ١٨٣ – ١٨٤
٣٧) شجرة طوبى ، محمد مهدي الحائري: ٢١٤٨
٣٨) البرهان: ٤/ ٢٥١

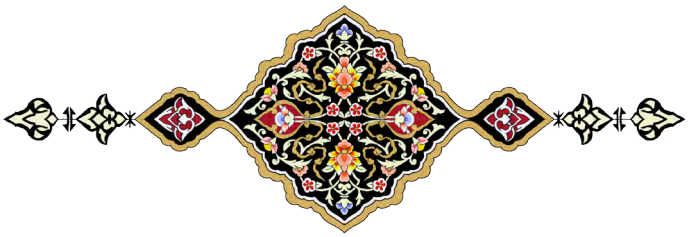

قصة ذات عبرة من إخلاص النبي موسى عليه السلام

لما توجه موسى عليه السلام تلقاء مدين – بلد شعيب عليه السلام – فارًا من فرعون وجد أُمّة من الناس قد اجتمعوا على بئر من أجل سقي قطعانهم، ووجد من دونهم امرأتين تذودان وهما بحاجة إلى من يسقي لهما أغنامهما، وكانتا بنتي النبي شعيب عليه السلام. بيد أن موسى عليه السلام لم يعرفهما، فسقى لهما وارتوت أغنامهما، ثم رجعتا إلى البيت.

كان موسى عليه السلام يتضور من الجوع، فرفع يديه بالدعاء قائلا : (**رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**) (القصص:٢٤).

قال أمير المؤمنين عليه السلام : والله ما سأله إلا خبزًا يأكله !

عادت إحدى البنتين إلى موسى عليه السلام، ودعته إلى البيت قائلة له: (**إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا**). فذهب معهما، وكان العشاء جاهزا، لكن موسى عليه السلام ظل واقفا ولم يجلس إلى المائدة.

دعاه شعيب عليه السلام وقال: اجلس يا شاب، فتعش!

قال موسى : أعوذ بالله!

سأله شعيب متعجبًا، ولم ذاك؟! ألست بجائع؟!

قال : بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضًا لما سقيت لهما (وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئًا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبًا).

قال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام، فجلس موسى يأكل.

(بحار الأنوار/ ج١٣ ص٢١) .

قرآنيات

ظاهرة التضاد في القرآن الكريم دراسة دلالية

م.م.مصعب مكي زبيبة
كلية الآداب/جامعة الكوفة

ينابيع

يُعَدُّ التّضادّ أحد أساليب الترابط النصيّ؛ وذلك (فذكر أحدهما يستدعي ذكر الآخر لوجود علاقة ما بين اللفظتين، ومن ثمَّ لا يجيئان إلّا معا، وبشكل عامٍّ فإنَّ أيَّ عنصرين من الكلمات لهما نفس النمط من التلازم أيّ لهما ميل للظهور في نفس السياق سيولدان قوّة ترابط إذا وجدا معًا في جمل متجاورة، فالتجاور المتضامّ يؤدّي إلى علاقة أشدّ تماسكا في النصّ)[١]. ويمنح التضادّ على نسج النصّ تماسكاً في منظومة السياق؛ وبذا فإنَّ قيمته الأسلوبية: (تكمن في نظام العلاقات، الذي يقيمه بين العنصرين المتقابلين، وعلى هذا فلن يكون له أيّ تأثير ما لَم يتداعَ في توالٍ لغويّ، وبعبارة أخرى: فإنّ عمليات التضادّ الأسلوبيّة تخلق بنية، مثلها في ذلك مثل بقية التقابلات المثمرة في اللغة)[٢]. من قبيل قوله تعالى: (أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ)[٣]، فقد وردت اللفظتان المتضادّان (النفع والضر)، ولم يتقيّد الثاني في حين تقيّد الأوّل؛ لأنَّ النفع أمر مرغوب فيه، يطلبه النّاس لأنفسهم؛ ولهذا نسب لهم، في حين الضرّ أمر مرغوب عنه، فلم يقيّد[٤]. وعليه (ترك المفعول للفاصلة، ويدلُّ عليه ما قبله)[٥]. وقد وردت اللفظتان المتضادتان بصورة

الاستفهام، وهو ما يسمى بـ (الاستفهام التقريريّ) ومعناه أن يُحمل المخاطَب إلى الإقرار بالجواب ولا سبيل أمامه سوى الاعتراف بالأمر المقرَّر به والذي كان قد استقرَّ عنده ثبوتاً، أو نفياً.

ونجد في سورة الشعراء التَّضادّ المتناظر، الذي يُدعى بـ (التفويت)[٦]، الذي أدَّى مهمَّة ترابطيَّة في قوله تعالى: (**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**)[٧]، فكان (تكرير الموصول في المواضع الثلاثة؛ للإيذان بأنَّ كلَّ واحدة من تلك الصلات نعت جليل له تعالى، مستقل في استيجاب الحكم)[٨]. والملاحظ أنَّ صفتي الإحياء والإماتة لم يضع لهما الضمير (هو)، في حين أنَّ الإطعام، والشفاء، وضع لهما الضمير المنفصل (هو)، لمقتضى أسلوبيٍّ هو أنَّ الإطعام والشفاء ممَّا يدَّعي الإنسان أنْ يفعله، فهناك المطعمون والشَّافون، فأكَّدهما إعلاماً أنَّ ذلك منه سبحانه وتعالى، لا من غيره، ممَّن يدعي ذلك، أمَّا صفات الخلق والموت والحياة، فلا يدَّعي أحد أنَّه يفعلها، فلم يحتج للتوكيد بالضمير (هو)[٩]. ويلاحظ أيضا أنَّه سبحانه وضع للهداية الضمير المنفصل (هو)؛

لأنَّ الكفار كانوا يدَّعون أنَّ آلهتهم هي التي تهديهم، ولهذا كانت الحاجة لوضع الضمير، حتَّى يكون الحصر له سبحانه وتعالى. وكان التصوير بالأزمنة، وأدوات الربط في هذه الآيات الكريمة غاية في الدقّة، إذ استعمل الفعل الماضي للخلق في (خلقني)؛ لأنَّ خلقه مفروغ منه، في حين أتى بالفاء من دون الواو؛ لأنَّه كالجواب؛ إذ إنَّ من صوَّر الخلق في أحسن صورة قادر على أن يهدي إلى سبيل الصَّلاح. ولأنَّ إطعام الخلق وسقياهم متجدِّد في كلِّ مكان وزمان، أتى بالفعل المناسب لذلك التجدُّد، وهو الفعل المضارع، فقال سبحانه وتعالى: (**يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِ**)، وقد جاء بالواو من دون الفاء؛ لأنَّهم كانوا لا يفرقون بين المُطْعِم والسَّاقي، ويعلمون أنَّهما من مكان واحد، وإنْ كانوا يعلمون أنَّه من إله، وأتى به هو لرفع ذلك. ودخلت الفاء في (**فَهُوَ يَشْفِيْنِ**)؛ لأنَّه جواب، ولم يقل مثلًا: (إذا مرضتُ هو يشفين)؛ حتَّى لا ((يفوت ما هو موضوع لإفادة التعقيب، ويذهب الضمير المعطى معنى الحصر، ولم يكونوا منكرين الموت من اللّه، وإنَّما أنكروا البعث، فدخلت ثمَّ لتراخي ما بين الإماتة والإحياء))[١٠]. وقد حصل (تجنيس التصحيف)[١١] في (يسقين، ويشفين) بالسين والشين، القاف والفاء.

وقد ورد التضادُّ الكامل في قوله تعالى: (**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ* وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ**) (الشعراء: ٩٠ـ ٩١)، في (أزلفت ـ برزت)، (الجنة ـ الجحيم) (للمتَّقين ـ للغاوين). ونلحظ أيضًا التضادَّ غير الكامل في قوله تعالى: (**الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**) (الشعراء: ١٥٢)، في (يفسدون ـ يصلحون) إلَّا أنَّ هذا التضادَّ يفقد دلالته بوجود حرف النفي (لا) فيتحوَّل إلى توافق فـ (يفسدون = لا يصلحون). وهذا الأمر ينطبق في قوله تعالى: (**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**) (النمل:٤٨) فـ (رهط يفسدون = لا يصلحون).

ونجد التضادُّ أيضا في قوله تعالى: (**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) (النمل:٢٧)، في (صدقت ـ الكاذبين). ونجد التضادَّ أيضًا في قوله تعالى: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**) (القصص:٧١)، (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**) (القصص:٧٢). فالتضادُّ حاصل بين الآيتين في (الليل ـ النهار)، (بضياء ـ بليل)، (أفلا تسمعون ـ أفلا تبصرون)، وعندها صوَّرت الآيتان افتراضين محالين الأوَّل بأنْ يكون الليل سرمداً، والثاني بأنْ يكون النهار سرمدًا، ولمَّا كان هدف الآيتين هو البرهنة على أنْ لا اله إلَّا اللّه سبحانه وتعالى، فكان افتراض سرمديَّة الليل بأنْ يكون تقريع الكفَّار بـ (**أَفَلَا تَسْمَعُونَ**)؛ لأنَّ سرمديَّة الليل تجعل حاسَّة البصر معدومة، وكان افتراض سرمديَّة النهار بأنْ يكون تقريع الكفار بـ (**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**)؛ لأنَّ سرمديَّة النَّهار، لا تجعل حاسَّة أقوى من حاسَّة البصر.

وفي قوله تعالى: (**وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ**) (الشعراء:٥)؛ نرى التضادَّ الحاصل من خلال الألفاظ (الذكر

والرحمن والمحدث) مع معرضين، فقد جعل الله منبِّها للخلق مذكراً لهم موعظاً، ذلك هو القرآن الكريم، وعبَّر بلفظة (الرحمن)، أي أنَّ تلك الآيات الكريمة جاءت رحمة عامَّة للخلق، وأماناً لهم من عذاب الآخرة، وصفات هذا المنبه الموجه للخلق؛ أنَّه متجدِّد لا يتعلَّق بزمان محدَّد، أو مكان معين؛ ولهذا وُصِفَ بأنَّه محدث، ولكنَّ التضادَّ يأتي في لفظة (معرضين)، التي تواجه ذلك الفيض الإلهيّ[١٢]، ((ويذكر اسم الرحمن هنا للإشارة إلى عظيم رحمته بتنزيل هذا الذكر، فيبدو إعراضهم عنه مستقبحاً كريهاً؛ وهم يعرضون عن الرحمة التي تتنزل عليهم، ويرفضونها، ويحرمون أنفسهم منها، وهم أحوج ما يكونون إليها!))[١٣]، وبيَّن الزمخشري قصديَّة التضادّ في الآية بقوله: ((فإنْ قلت: كيف خولف بين الألفاظ والغرض واحد، وهي: الإعراض والتكذيب والاستهزاء؟ قلت: إنَّما خولف بينها لاختلاف الإعراض، كأنَّه قيل: حين أعرضوا عن الذكر، فقد كذّبوا به، وحين كذّبوا به، فقد خفَّ عندهم قدره، وصار عرضة للاستهزاء والسخريَّة؛ لأنَّ من كان قابلاً للحقِّ مقبلاً عليه، كان مصدقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب. ومن كان مصدقاً به، كان موقّراً له (فَسَيَأْتِيهِمْ) وعيد لهم وإنذار بأنَّهم سيعلمون إذا مسَّهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة (مَا) الشيء الذي كانوا يستهزئون به، وهو القرآن، وسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم))[١٤].

وقد تبين من خلال الأمثلة التي تحاكي التضاد في القرآن الكريم، أنَّه يحقِّق غاية جماليَّة تصب في جذب المتلقي والتأثير فيه، فضلاً عن الغاية الدلالية التي يحققها التضاد بوساطة ترسيخ المعنى؛ لأن المعنى يعرف بضده في بعض الأحيان■

---

١) إشكاليَّات النصّ: ص٣٦٦.
٢) علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته: ص ٢٥٦
٣) سورة الشعراء، الآية: ٧٣.
٤) لمسات بيانيَّة: ص٦٥.
٥) روح المعاني في تفسير العظيم والسبع المثاني: ج١٠/ص١٢٥.
٦) هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كلّ فنّ في جملة منفصلة عن أختها، مع تساوي الجمل في الزنة، وتكون في الجمل الطويلة والمتوسطة والقصيرة، والآيات الشريفة من الطويلة، الإتقان في علوم القرآن: ج٢/ص٢٤٠.
٧) سورة الشعراء، الآية: ٧٦-٨١.
٨) البحر المديد: ج٤/ ص٣٣٤.
٩) ظ: أسرار التكرار في القرآن: ص١٥٥.
١٠) البرهان في علوم القرآن: ج٤/ص٦٨.
١١) ويسمَّى أيضا (جناس الخطّ)، سماه ابن سنان (مجانس التصحيف). سرّ الفصاحة: ص٢٣٣، وقال ابن منقذ (هو أن تكون النقط فرقا بين الكلمتين، البديع في نقد الشعر:ص١٧. كقوله تعالى: (**وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.
١٢) ظ: الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل: ج١١/ ص٣٣٩.
١٣) في ظلال القرآن: ج٥/ص٥ ٢٥٨.
١٤) الكشاف: ص٦٥.

قراءات

المسلمون بين عالمية الإسلام وعولمة الغرب

الباحث: م .م محمد رضا الشريفي
المركز الوطني لعلوم القرآن – بغداد

ينابيع العولمة تعني تعميم وتغليب وتطبيق نموذج واحد في الثقافة والحضارة على جميع الشعوب بغض النظر عن هوياتها وخصائصها وظروفها، ومع إن مصطلح العولمة حديث في الظهور إلا إن مفهومه ليس بجديد على عالمنا، ولا هو وليد عصرنا الحاضر. فهذه الظاهرة نشأت مع ظهور الإمبراطوريات الكبرى في القرون الماضية. عندما حاولت أن تصبغ الشعوب التي بسطت نفوذها عليها بثقافتها، وسعت إلى أن تطبق نموذجا واحدا ونمطا واحدا في مختلف جوانب الحياة على تلك الشعوب. وقد اتخذت العولمة عدة أشكال وصور منها الشكل العسكري ومنها الاستعمار السياسي والاقتصادي ومنها الغزو الثقافي، وتختفي العولمة غالبا خلف شعارات توحيد البشرية والتقليل من مخاطر صراع الحضارات ونشر الثقافة الكونية ورفع الحواجز بين الشعوب، وهي دعاوى ثبت مخادعتها فضلا عن عدم إمكان تحققها عبر العصور. فلم يكن هدف الاستعمار الغربي من نشر أفكاره في العالم الإسلامي هو تمدين الدول المستعمرة، وإنما إزالة الحواجز التي تحول بينه وبين مصالحه الاستعمارية والاقتصادية في هذه الدول عن طريق تذويب الرابطة الإسلامية في قلوب وعقول أبنائها، فهو كان يسعى لتبديد كل فكر أصيل يجابه سطوته. ومن هذا يمكن أن نفهم حرص قوى الاستكبار العالمي على توفير الحماية والدعم للنموذج السلبي لما يمكن أن نسميه بالإسلام الصوري العاطل المنشغل بالطقوس والشعائر التي تحافظ على هذه الروح الهائمة في الدروشة والعادات الشكلية لدى الشعوب المحتلة وتحول الإسلام إلى عقيدة باهته تؤمن بالغيب إيمانا سلبيا قائما على الخنوع للواقع بدل أن تؤمن به إيمانا فعالا يجعل حركتنا في هذا الواقع متساوقة مع شروط ذلك الإيمان الخالد.

وبطلان الدعوة إلى العولمة قائم على مخالفتها لسنة كونية إلهية هي سنة الاختلاف والتنوع، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**) (الحجرات: ١٣) وقال: (**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**) (الروم: ٢٢) وقال تعالى: (**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ**) (الحج: ٦٧)، ومن هذا نفهم قول رسول الله ﷺ: (من تشبه بقوم فهو منهم)[1] وقوله أيضا (ليس منا من تشبه بغيرنا)[2].

ورب معترض يعترض فيقول: ألستم تقولون بعالمية الإسلام؟ فلماذا تجيزون لأنفسكم ما لا تجيزونه لغيركم؟! فنقول إن عالمية الإسلام مختلفة عن عولمة غيره فهي لا تقوم على القسر والإكراه، ولا على المكر والخبث والتحايل، وهي تدعو إلى توحيد الغايات لدى البشر لا إلى توحيد صفاتهم وذواتهم والقضاء على خصوصياتهم، وهذا تأريخ الإسلام يشهد في كل عصوره إنه لم يسلب الشعوب الداخلة فيه أيّا من خصوصياتها وتقاليدها وثقافاتها المحلية، بل إن الذي حدث كان عكس ذلك تماما!! فبفضل الإسلام تمكنت الكثير من الشعوب الداخلة فيه من نقل ثقافاتها وتجاربها إلى القوم الفاتحين أنفسهم مثلما حدث مع الشعوب الفارسية والتركية وغيرها من الشعوب التي نقلت الكثير من مفردات حضارتها إلى العرب الفاتحين الذين تفاعلوا معها بإيجابية بالغة، أما البشارة بظهور هذا الدين وتفوقه على غيره والتي جاءت في قوله تعالى (**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**) (التوبة: ٣٣) فليس المقصود بها الغلبة العسكرية والتوسع الجغرافي لهذا الدين، وإنما المقصود بها استحواذ تأثيره العميق في أنماط التفكير والبناء الإنساني التي سعى لنشرها وغلبته على الأعراف والتقاليد المنحرفة، فشرائع القرآن كانت نابية عن مشابهة التقاليد البالية أو الإذعان لها مهما كانت قوة رسوخ تلك التقاليد في المجتمع، والرسول ﷺ لم يصنع نفوسا مؤمنة فقط وإنما صنع عقولا مستنيرة هيأها لعصر جديد، والحضارة الإسلامية عموما لم تتميز بالأبنية الشامخة لأنها كانت تركز على الإنسان و الأفكار أصلا.

وفي عصرنا الراهن الذي يوصف بأنه عصر الحريات والانبعاث الإنساني الشامل في آفاق التحّرر والانطلاق من القيود والآصار، وتوصف الهبّة الديمقراطية الحالية بأنها آخر ما توصل إليه الفكر البشري على صعيد السياسة والاجتماع، يتم تسويق ذلك على إنه المنتج الأخير من منتجات الحضارة الغربية التي أصبحت به تباهي وتشمخ بأنفها على غيرها من الحضارات، حتى راحت الأنظمة والمجتمعات في الشرق والغرب تسعى للاقتداء به والإيفاء بشروطه، لا يتخلّف عن ذلك نظام مهما كانت أصوله العقائدية والفكرية إلا نادرا! فاكتنفت الحيرة والبلبلة تفكير قطاع واسع من أبناء الأمة في مشروعية البحث عن نموذج حضاري آخر غير الإسلام ومشروعه. و كان طول عهد الظلم والفشل من أهمّ أسباب الدفع باتجاه البحث عن نظرية حضارية يمكن أن يركنوا إليها ويطبقوها في حياتهم العامة لعلها تنقذهم من واقعهم السياسي والاقتصادي المتردي، وظهرت هذه النزعة جلية في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين الميلاديين على يد رجال دين ومفكرين وأدباء من أبرزهم رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي و محمد عبدة وجمال الدين الأفغاني[٣] أو على يد رجال سياسة مؤثرين كما حدث على يد أتاتورك بعد سقوط الدولة العثمانية وقيام دولة تركيا الحديثة. فاستهوى الكثيرين ما نجحت بعض الأمم في تطبيقه فهرعوا يمينا وشمالا يأخذون من هذا ويستعيرون من ذاك، وفاتهم إن شجرة الإسلام هي شجرةٌ مباركةٌ زيتونة لا شرقية ولا غربية، وهي فوقية لا رجعية ولا منفلتة، وهي تكريمية استخلافية لا ليبرالية ولا استبدادية. وفي بحثهم ذاك

كانوا كمن يقف فوق كنز وهو يستجدي الخبز من المارّة! وشاع لدى عامة الناس القول بأن الكافر العادل خير من المسلم الجائر بعد أن أغرتهم بعض مظاهر المساواة والرخاء والتنظيم لدى الآخرين، وفاتهم أن الكفر والعدل لا يستقيمان أبدا وان علاج هذه الأمة يجب أن يكون من داخلها.

وقد دفعَنا اليأسُ من صلاح شؤوننا، إلى طرفي نقيض، الطرف الأول تمثل باتجاهين؛ الأول مفرطٌ في الاغتراب عن منابع الأمة، لاهثٌ وراء المادة ومبالغٌ في الارتماء في الملذات والإقبال على مظاهر الترف المادي إذا ما واتته الظروف، هاجرٌ للدين ومحمّلٌ إياه مسئولية الخراب. والاتجاه الثاني مفرط في النكوص عن الحياة ومبالغ في الزهد والتصّوف الشكلي الذي تحول إلى عدم اكتراث بأمر الجماعة وانطواء على الذات لإيمانه بثنائية (الدين والدنيا) كنقيضين لا يمكن الجمع بينهما!! وقد غفل عن حقيقة إن الدنيا المذمومة في الإسلام هي التي تقوم بديلا عن الدين، أما الدنيا التي تكون ممرا للدين ومزرعةً للآخرة ومتعاضدة معهما فتلك مما يبتغيه الإسلام ويسعى لإقامته. فهل يمكن الوصول إلى أيّة أرض عبر ممرٍّ فاسد؟ وهل يمكن اجتناء أيّة ثمرة من مزرعة خربة؟! الدنيا المذمومة في الإسلام هي الدنيا التي تصرف الإنسان عن مهمته الأولى وتقضي على إنسانيته (أما حينما تتخذ الدنيا طريقا للآخرة أي أداة ينمي الإنسان في إطار خيراتها وجوده الحقيقي وعلاقته باللّه وسعيه المستمر نحو المطلق في عملية البناء والإبداع والتجديد، فإن الدنيا تتحول وفق هذه النظرة من كونها مسرحا للتنافس والتكالب إلى مسرح للبناء)[٤].

أما الطرف الثاني من النقيضين فقد ظهر جليا في النزعة السلفية المناهضة لتقدّم الحياة، المنادية بالرجوع إلى أدوات وآليات متعارضة مع روح التغيير والتطوّر التي تحكم الوجود برمته، وهو ما أنتج التطرف والغلوّ في معالجة مشاكل المجتمع بالقسر والعنف والإرهاب والوسائل البالية، وذلك ما نراه لدى المجموعات والتنظيمات الأصولية والسلفية الراديكالية المتشددة التي أعلنت الحرب على الجميع. فانطبعت لدى الناس صورة قاتمة ومروعة عن الإسلام، فبعد أن كان الشرق رمزا للطيبة والوداعة نراه اليوم تحول إلى صورة عالم إرهابي دموي متعطش للقتل والدماء. وأصبح العالم كله كتلة واحدة في حربه على الإرهاب التي لا يعني بها شيئا آخر سوى الحرب على الإسلام. وزاد من قتامة تلك الصورة هذا الأداء السيء والمضطرب والفاشل لأنظمة حكم أو أحزاب حكمت باسم الإسلام بعد أن قامت على أنقاض أنظمة بالية حكمت باسم الحداثة والعلمانية فلم تختلف عنها إلا بالشعارات مما أثقل كاهل الإسلام بأعباء نقد جديد لا يحسد عليه بسبب فشل ما يسمى بأحزاب الإسلام السياسي في قيادة الشعوب المسلمة. وتم تكريس النموذج الغربي للحضارة والقائم على فكرة إنه من الممكن إيجاد نظام أخلاقي واجتماعي يقوم على الكشوفات والإنجازات العلمية بعيدا عن الدين. وتحول الشرق بنظر أبنائه من موطن للحضارة إلى موطن للتخلف والسحر والخرافة والكهانة والدروشة والفقر والجوع والمرض ، وإن اختلف أحد بلدان الشرق عن هذه الصورة فذلك بفضل الغرب أو بفضل احتذائه للنموذج الغربي، هكذا أصبح الناس يفكرون.

إن اعتراضنا الأساسي على مفهوم العولمة في الحضارة لا ينصب على استيراد

الإنجازات المادية للحضارة الغربية فذلك أمر لا مندوحة عنه الآن، إنما هو ينصب أساسا على فكرة استلهام النموذج الغربي واستيراد القيم والأخلاقيات التي ترسخت هناك، إن النهضة التي نتطلع إليها يجب أن تكون نابعة من داخلنا وخاضعة إلى بعث الروح الأصيلة التي غابت عن مجتمعاتنا منذ زمن بعيد. والمجتمعات الإسلامية تخطيء كثيرا عندما تعتقد إن تخلفها ناجم عن التخلف العلمي والمادي فقط فتسعى للتنمية الصناعية متغافلة عن التنمية البشرية.

ورغم كل شيء فإن العالم الإسلامي مازال محافظا على كثير من أوضاعه وعلاقاته الإنسانية التي يمكن أن تفيده في إعادة البناء. وكل ما عليه هو أن يتصرف ككيان واحد ذي هدف واحد لا كأفراد أو جماعات منفصلة لأن (المجتمع الجاهلي لا يتحرك كأفراد، إنما يتحرك ككائن عضوي تندفع أعضاؤه بطبيعة وجوده وتكوينه للدفاع الذاتي عن وجوده وكيانه، فهم بعضهم أولياء بعض، ومن ثمَّ لا يملك الإسلام أن يواجههم إلا في صورة مجتمع آخر له ذات الخصائص ولكن بدرجة أعمق وأمتن وأقوى، فأما إذا لم يواجههم بمجتمع يوالي بعضه البعض الآخر فستقع الفتنة لأفراده من المجتمع الجاهلي، لأنهم لا يملكون مواجهة المجتمع الجاهلي المتكافل أفراداً، وتقع الفتنة في الأرض عامة بغلبة الجاهلية على الإسلام بعد وجوده)[٥]، فإن سببا مهما من أسباب نشوء الحضارة الإسلامية وازدهارها هو إن الكل كان يتحرك ضمن المنطق العلمي الذي نعني به ارتباط العمل بوسائله ومعانيه ولا نعني به تلك القواعد العلمية المعروفة للتمييز بين المنهج العلمي وغيره فقط. والتحرك ضمن المنطق العلمي هو الذي يحول دون تحول الكثير من جهودنا إلى هباء، وإن كثيرا مما تعاني منه الأمة الآن راجع إلى العبث الذي يلف تحركات أبنائها لعدم ارتباط أعمالهم بحاجاتهم وقدراتهم. وغياب المنطق العلمي هو الذي أدى بنا إلى أن ننفق الكثير من الوقت والمال على تعلم أمور لا نستعملها في حياتنا اليومية فنرى إن كلياتنا وجامعاتنا لا تقوم إلا بتزويد المجتمع كل يوم بطوابير من العاطلين عن العمل. إن جزءاً كبيرا ومهما من أسباب نهضة الحضارة الإسلامية وازدهارها يعود إلى أن الشعوب الإسلامية كانت تتبنى الأخلاق العملية التي نادى بها الإسلام كممارسة اجتماعية غير منفصلة عن الوجود المادي وكانت تؤمن إن (البرُّ وحسنُ الخُلق يعمران الدّيار ويزيدان في الأعمار)، وعندما فرطت الأمة بهذا الانفعال وهذا الوجدان حلّ بها ما حلّ من وهن وتخلّف. وفي العصور الإسلامية غالبا ما كان الشعب يمارس حضارته بغض النظر عن السلطة أو بمعزل عنها!! وقد كانت الحضارة الإسلامية تتمتع بمعايير إنسانية تسمح لها بأن تعمم نموذجها الاجتماعي والسياسي على شعوب العالم لأن مصدرها كان خارج الظروف التي أنتجت أزمة الحضارة المعاصرة، أما كونية الحضارة الغربية اليوم فهي مزيفة لأنها ترتكز على القوة المادية (الاستعمار واستغلال الشعوب) والعنصرية، والنظرة الناقصة والتجزيئية إلى الإنسان باعتباره كائن تتمحور حياته حول الإنتاج والاستهلاك.

إن ما نحن بحاجة إليه فعلا هو منهج الحضارة لا منتجاتها، والمنهج شيء ذاتي لكل أمة لا شيء مستورد خارج عن عقيدتها وأخلاقياتها وفلسفتها، ونجاح نموذج حضاري معين في أرض ما لا يعني نجاحه في أرض أخرى■

١) لمعجم الأوسط /الطبراني، المعجم الأوسط، ج ٧، ص٢٣٨.
٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ص٥٠.
٣) الإسلام والحضارة الغربية/ محمد حسين، ص١٩.
٤) الإسلام وبناء الإنسان المعاصر/ محمد باقر الصدر، ص١٦.
٥) في ظلال القرآن/ سيد قطب، ج ٣، ص ١٥٥٩، ١٥٦٠).

من أقوال الإمام العسكري عليه السلام:

١- (حب الأبرار للأبرار ثواب للأبرار، وحب الفجار للأبرار فضيلة للأبرار، وبغض الفجار للأبرار زين للأبرار، وبغض الأبرار للفجار خزي على الفجار).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

٢- (من الجهل الضحك من غير عجب).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

٣- (كَفَاكَ أَدَباً تجْنبُك مَا تَكْرَهُ مِنْ غَيْرِكَ).

(الدرة الباهرة/ الشهيد الاول، ص٤٥)

٤- (من الفواقر التي تقصم الظهر جار إن رأى حسنة أطفأها، وإن رأى سيئة أفشاها).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

٥- (ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكر في أمر الله).

(تحف العقول، ص٤٨٨)

٦- (بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهدًا، ويأكله غائبًا، إن أعطي حسده، وإن ابتلي خذله).

(تحف العقول، ص٤٨٨)

٧- (إنَّ الوصولَ إلَى اللهِ عزَّوَجَل سَفَرٌ لا يُدرَكُ إلاّ بِامتِطاءِالَّليلِ).

(البحار/ المجلسي/ ج٧٥ص٣٨٠)

قراءات

إيلاغية الصوت في نهج البلاغة

د. ظافر عبيس الجياشي
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام/ المثنى

ينابيع من الخصائص التي تميّز بها أمير المؤمنين عليه السلام القدرة الفائقة على نظم خطبه، ومواعظه، وكتبه، ورسائله، وحكمه بأسلوب بلاغي، وإنشائي جذّاب، وبلفظ فصيح، مؤثر في النفوس لا يرقى إليه أحد، فهو إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، ومنه تعلّم الناس الخطابة، فالكلمة يرسلها عفو الخاطر فتغدو حكمة، والحديث يرسله من دون تعمّل، ولا إعنات فيصبح مثلاً في أداء محكم، ومعنى واضح، ولفظ عذب سائغ، فأسلوبه رصين، ومعانيه متدفقة، وذوقه سليم لا يتكلف، ولا يتمحل.

وإبلاغية الصوت في نهج البلاغة

ناتجة من ألفاظه فهي ذات انسجام صوتي واضح ؛ لموسيقيتها الجذابة، فأصواته التي يستعملها بما تحمله من صفات، ومخارج، وجَرْس جاءت متوافقة مع مواقف الشدة، واللين، والوعظ، والإرشاد، والأمر، والنهي... بحسب الغرض من خطابه في تأكيد الفكرة التي يقصدها، ممّا يشيع في النصّ مناخاً تخيّليّاً خاصاً يتماشى مع حركة النفس وذبذبتها الشعورية، وينسجم مع إيقاعات موسيقاها الداخلية، وأنغامها.

ومن أمثلة الإبلاغية الصوتية في نهج البلاغة (المحاكاة الصوتية) وما نطمح إليه ـ هنا ـ هو استكناه إيحاء الصوت ومحاكاته المعنى، وعلاقته به، وما يؤديه الصوت اللغوي من أثر يسهم في الدلالة على معناه، إذ إنّ هناك أصواتاً في اللغة تضفي طبيعتها ظلاً من ظلال المعنى، ومن ثمّ تساعد في الدلالة عليه.

وقد عُرّفت المحاكاة الصّوتية بأنّها (اختيار ألفاظٍ يُوحي صوتها بمعناها)[١]، فيكون الجرس دالاً على المعنى عن طريق الاستدعاء، انطلاقاً من أنّ الأصوات اللغوية كانت في الأصل مستمدة من الطبيعة والأحداث والمشاعر الإنسانية، وأنّها ما تزال تحتفظ بظلٍّ من هذه العلاقة في الذاكرة اللغوية والوعي الجماعي، وقد أطلق علماء اللغة العرب على هذه الظاهرة اللغوية مصطلحات عدّةَ، منها: الدلالة الصّوتية، والدلالة الاستدعائية، والدلالة الذاتية، والدلالة الطبيعية[٢]، أمّا علماء اللغة الغرب فسموها (الأنوماتوبيا)[٣]، وهي (عملية تجسيد الصّوت للمعنى، فيكون الشكل بذاته دالاً على مضمونه، والنقد الحديث صار يؤكّد هذه الظاهرة في الأدب على أنّها عنصر ترميز، بحيث

يصبح الشكل شفافاً مصوّراً جوانب المعنى بصوته)[٤].

وتُعدّ دراسة (علاقة الصّوت بالمعنى) من الدراسات الصّوتية المهمّة ؛ لأنّها تظهر دلالة الصّوت في بنية المفردة، أو دلالة الأصوات الداخلة في التركيب، فضلاً عن توضيح العلاقة بين جرس اللفظة ومعناها الذي يتساوق معها.

وهذه العلاقة بين الصّوت والمعنى قد شابها الكثير من الجدل عند فلاسفة اللغة منذ القدم وحتى يومنا هذا، والذي نميل إليه، أنّ فكرة العلاقة بين الصّوت والدلالة لا يمكن إنكارها، وإن لم نقل بالدلالة الذاتية بين الصّوت والمعنى، ولا باعتباطيتها، لكنّا نرى أنّ للصوت إيحاءً خاصاً، فهو إنْ لم يكن يدل دلالة قاطعة على المعنى، يدلّ دلالة اتّجاه وإيحاء، ويثير في النفس جوّاً يهيئ لقبول المعنى، ويوجه إليه ويوحي به، وفق تشكيله وترتيبه على نحو معين في اللفظ، ووفق معطيات السياق الوارد فيه.

فارتباط الأصوات بمعانيها وتكوينها للصورة الصّوتية المحاكاتية، يعطي للمبدع القدرة على خلق الدهشة، مهما كانت درجتها، وتشدّ الذهن، وتثير الانتباه نحوها، وهذه النظرة إلى الأصوات وفاعليتها في الدلالات المحاكاتية، تدلّ على إيحاء الأصوات وتزيد الألفاظ دلالة على دلالتها المعجمية، وبذلك يكون (لبعض الأصوات القدرة على التكيف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها، وترتبط الظلال المختلفة للأصوات باتجاه الشعور، وهنا تثري اللغة ثراء لا حدود له)[٥].

ويمكن أن نقول: إنّ المحاكاة الصّوتية: هي الصورة التي ترسمها الأصوات في ذهن المتلقي، من خلال الربط بين إيحاء الصّوت ودلالته على المعنى في ضوء معطيات السياق الوارد فيه، ووفق تشكيله، وترتيبه على نحو معين في اللفظ.

أنواع المحاكاة الصّوتية

يمكن تقسيم المحاكاة الصّوتية على نوعين هما:

١ـ المحاكاة الأوليّة أو الأساسية.

٢- المحاكاة الثانوية، وفيما يأتي بيان ذلك(سنقتصر الحديث على النوع الأول):

المحاكاة الأوليّة أو الأساسية:

يأتي هذا النوع من المحاكاة على مستوى المفردات فقط، إذا اشتملت على صوت، أو أكثر يحاكي الحدث وينسجم معه، أو مع الحالة الشعورية لدى الإنسان (وربّما سُمّيت بالأولية لكونها أبسط أشكال المحاكاة، ولأنّها تُلحظ سريعاً فور ورودها على ذوي الآذان المرهفة)[٦]، فالمبدع يكرر صوتاً بعينه، أو مجموعة من الأصوات فيكون لها مغزى يعكس شعوراً داخلياً للتعبير عن مقصد محاكاتي دلالي، وفيه يتفوق الجرس الصّوتي على منطق اللغة، فيخرج عن قيد الصّوت المحض إلى دلالة تحرك المعنى وتقويه.

ويمكن أن يقسمّ هذا النوع من المحاكاة على نوعين:

أحدهما: ما ذكر آنفاً وهو يتمثل في اللفظة المفردة عندما تشتمل على صوت واحد، أو أكثر يكون بمثابة صدى، ومحاكاة للحدث .

الآخر: وأعني به توافر طائفة من الألفاظ الدقيقة عند إطلاقها في نهج البلاغة تحاكي تسميتها، وأصواتها تتميز بكون اللفظ يدلّ على نفس الصّوت وينسجم معه، والصّوت يتجلّى فيه ذات

اللفظ (بحيث يستخرج الصّوت من الكلمة، وتؤخذ الكلمة منه، وهذا من باب مصاقبة الألفاظ للمعاني بما يشكل أصواتها، فتكون أصوات الحروف على سمت الأحداث التي يراد التعبير عنها)[٧]، أيّ (تسمية الأشياء بحكاية أصواتها كالقهقهة بالنسبة إلى الإنسان، والصّهيل بالنسبة إلى الفرس، والخرير بالنسبة إلى الماء)[٨] وفيما يأتي بيان ذلك :

النوع الأول: أي اختيار ألفاظ منسجمة يوحي صوتها بمعناها، ويمكن أن نمثل لهذا النوع ما يأتي:

المحاكاة بالصّوت الواحد:

تحصل المحاكاة أحياناً بالصّوت الواحد من ذلك قول الإمام علي عليه السلام: (مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سُعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ)[٩].

الشاهد فيه قوله: (انْتَشَرَتْ)، فإذا كانت النصوص المبدعة، والجيدة هي التي تكشف الستار عن مكامن الألفاظ من دلالات، وإيحاءات، وظلال ومعانٍ، فإنّ خطب الإمام علي عليه السلام، وكلماته تفصح عن ذلك، وشاهد(انْتَشَرَتْ) مصداقها.

فما نلحظه في هذه الكلمة هو استعمال صوت الشين الذي يتصف بأنّه صوت احتكاكي رخو مهموس لثوي حنكي[١٠]، ويبدو أن هذه الطبيعة قد أعطت هذا الصّوت صفة التفشي، والتفشي- كما حَدّهُ مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)- هو (كثرة انتشار الريح بين اللسان، والحنك وانبساطه في الخروج عند النطق)[١١]، إذ تتسع منطقة الهواء في الفم عند النطق به، ولا يقتصر هواء النفس في تسربه إلى الخارج على مخرج الشين فحسب؛ بل يتوزع في جنبات الفم مع صفير قليل.

ولم يختلف الأصواتيون المحدثون عن المتقدمين في وصف التفشي، فهو عندهم (خاصية حرف الشين؛ وذلك لأنّ اللسان يتفشى فعلاً عن الحنك فيكون في وسطه نوع من القناة ينطلق منها النفس)[١٢].

وصفة التفشي لصوت الشين، وانتشار الهواء في مخرجه طغى على لفظ (انْتَشَرَتْ) ليرينا صور التمزق والفرقة التي يعيشها أصحاب الإمام، بدلالة أنّ صوت الشين يدلّ على التفشي بغير نظام[١٣]، فضلاً عن صفة الهمس لهذا الصّوت التي أضفت إليه ضعفاً كشف عن خور عزيمة أصحابه، وتفرقهم، وضعفهم، فالصّوت المهموس: (صوت أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه)[١٤].

وكشفَ هذا اللفظ، والوصف الشديد الذي قرّع به الإمام متلقيه ممّن هم تحت لوائه أيضاً مدى الضيق، والألم الذي ألمَّ بالإمام جرّاء معصيتهم له، حتى وصفهم بهذا الوصف، فكيف بقطيع الأغنام إذا فُقد راعيها، فليس لها إلاّ التشتت، والانتشار على غير نظام، لذا وصفهم بهذا الوصف؛ لِمَا فيهم من اختلاف الأهواء، وتشتت الآراء المانع من اجتماعهم على ما فيه نظم أمر معاشهم، وصلاح حال معادهم، ومع نصحه لهم ففيهم من الفشل، والخوف مضافاً إلى ذلك سوء الرأي وضعف التّدبير، إذ يمكر بهم عدوّهم ولا يمكرون به يتثاقلون، ولا يحركون ساكناً، وتنتقص أطرافهم، ونواحي بلادهم بإغارة العدوّ عليها، وقتل خيار أهلها، وإحداث الخراب فيها فلا يغضبون ولا يمتعضون. لذا جاء الإمام بهذا اللفظ وهو متضمن صوت

(الشين) الذي تعين خصائصه النطقية على الدلالة المقصودة التي يريد الإمام إيصال مفهومها إلى المتلقي .

ب-المحاكاة بأكثر من صوت

وقد تحصل المحاكاة بأكثر من صوت، مثال ذلك قولهعليه السلام: (لَقَدْ أَصْبَحَت الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا وَدَعَوْتُكُمْ سِرّاً وَجَهْراً فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا شُهُودٌ كَغُيَّابٍ وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ)[١٥].

الشاهد فيه قوله: (نَصَحْتُ)، هذه المفردة توحي دلالتها، وتحاكي، وتنسجم مع أصواتها، وتعبّر عن شجا الأب الرحيم، والإمام الشفيق على رعيته، الذين لم يسمعوا له ولم يطيعوه، ولم يأخذوا بنصحه، فوظيفته تقتضي ذلك النصح للناس كالأنبياءعليهم السلام بحكم إمامته.

إنّ هذه المفردة قد اجتمع فيها أوضح الأصوات، وأكثرها نقاءً، وعذوبة وقدرة على التعبير عن محتواها الدلالي الدائر فيها بين الإخلاص والبعد عن الشوائب، وتحرّي كل قول، أو فعل فيه صلاح[١٦].

فأول أصواتها النون المجهور الأسناني اللثوي، ذو الوضوح السمعي العالي والانبثاق والظهور[١٧]، ففيه محاكاة وإيحاء دلالي على النصح والإخلاص، وإنّه أمر نابع من قرارة النفس وصميم الإنسان، ثمّ يليه صوت الصاد الصفيري اللثوي[١٨]، الذي يتسم بالصفاء والنقاء أثر خروجه نقياً وصافياً؛ ليعبّر عن ثاني سمة من سمات النصح والخلو من الشوائب، وهو نقاء السريرة وصفائها، ووضوح الهدف، والبعد عن الغش، والشوائب وهو ما يتمتع به أمير المؤمنين عليعليه السلام من صفات القيادة والإمامة، وختم هذه المفردة بصوت الحاء الذي يخرج من وسط الحلق[١٩]، ويتسم بالاتساع والعفوية، كونه يعدّ من أعذب الأصوات، وارقها وانصحها، إذ يوحي أنّ النصح يقتضي العفوية؛ كي يدخل من القلب إلى القلب مباشرة.

وبذا فقد حاكت المفردة بأصواتها دلالتها، وجسدت مظهراً من مظاهر المناسبة التامّة وهي مناسبة الأصوات لكلماتها وسياقها. وليس بعد هذا النصح الأبوي إلاّ الندم والخسارة والضياع، وقد صرّح بذلكعليه السلام: (أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجَرَّبِ تُورِثُ الْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ)[٢٠].

ج- المحاكاة بالألفاظ الرباعية المضعفة

قد تحصل المحاكاة بالألفاظ الرباعية المضعّفة، والمقصود بالمضعف: هو ما كانت فاؤه ولامه الأولى من نوع واحد، وعينه ولامه الثانية من نوع آخر مثل: زلزل، قلقل[٢١].

من ذلك قولهعليه السلام يذكر فضائله من خطبة قالها بعد وقعة النهروان: (وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا، وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللّٰهِ حِينَ وَقَفُوا، وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً، وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً، فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا، وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا، كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ، وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ)[٢٢].

الشاهد فيه قوله: (تَعْتَعُوا) اللفظ الرباعي المضعف التاء والعين، إذ نلحظ في بنيته الصّوتية محاكاة الحدث بصورة جلية، لورود تكرار مقطعي فيه، فتكراره يعني وقوع الحدث مرتين فقد ذكر ابن جنّي أنّهم جعلوا المثال المكرر للمعنى

المكرر[٢٣].

فلفظ (تعتع) تحاكي المقصد الذي يصف كلامهم - أي الخوارج- بالإعياء والتردد ؛لأنّ دلالة هذه المفردة في الكلام تعني: (أن يعيا بكلامه، ويتردد من حصر، أو عي، وقد تعتع في كلامه، وتعتعه العي)[٢٤]. المناسبة لقوله عليه السلام بالإفصاح، والنطق في قوله: (وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا) .

ويبدو من بناء هذه المفردة أنّنا نستطيع أن نتلمس دلالتها التي تقدّم ذكرها من تردد الأصوات التي تؤلف بنيتها، وتكرار بعضها، فالتاء تكررت مرتين، والعين تكررت مرتين أيضاً، لكنهما استطالا من خلال تكرار بعضهما في البناء.

وإذا أردنا أن نتلمس محاكاة القيم التعبيرية لأصوات هذه المفردة نجد أن صوت التاء مهموس، أمّا العين فمجهور، وهذا الاختلاف بين الصّوتين، وتعاقبهما في المفردة يبدو واضحاً جلياً فهي تبدأ بالتاء فتتركه إلى العين، فتعود إلى التاء، فإلى العين كل ذلك أكسب المفردة معنى التغيير، وعدم الاستقرار على حال معين، وهذا هو حال المتردد في الكلام.

ثمَّ إنّ دقّة الإمام في اختياره أصوات ألفاظه يكشف عن دقّة في الاستعمال، فصوت التاء الانفجاري الشديد المهموس الذي يتصف بدلالته على الاضطراب[٢٥] كشف واقع حالهم وزيف مقالهم، وتنكصهم واضطرابهم، أمّا صوت العين، فهو صوت حلقي مجهور[٢٦]، وهو من حروف الحلق التي عدّها الخليل الفراهيدي من أطلق الحروف وأضخمها جرسا[٢٧]، إذ يدلّ هذا الصّوت على الخلو[٢٨]، وكأنّ هذا اللفظ كاشف حاك، وشاهد مفصح على اضطراب تفكيرهم وسقم حالهم، وخلوهم من جميع مقومات الحكمة، يضاف إلى ذلك البعد الشديد بين مخرجي الصّوتين الذي قد يوحي بالتنافر بينهم وبين الإمام من حيث التفكير والعمل.

فضلا عن ذلك أريد بها تجسيد هذا الصّوت وتجسيمه ؛لأنّه عليه السلام أراد بيان حركة هؤلاء المعنيين بالكلام، واضطرابهم من خلال وصف حالهم للمتلقي هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ هذا الصّوت لم يرد لذاته؛ بل أريد الفعل منه وأُريدت دلالته على الحدث وتحقق بزمن ما، وإن الفعل دال على الاضطراب، وعدم الاستقرار في حالة ما■

---

١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة،وكامل المهندس: ٣٤٠.

٢) ينظر:دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس: ٤٦، واللغة بين المعيارية والوصفية، د. تمام حسان: ١١٠، والتركيب اللغوي للأدب،د.لطفي عبد البديع: ٨٦، والدلالة الصّوتية في اللغة العربية:٤٢.

٣) ينظر:الدلالة الصّوتية في اللغة العربية،د.صالح سليم الفاخري:٦٩ .

٤) جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف:٢٢٢.

٥) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، د.محمد العبد:١٤.

٦) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، د. صالح ملا عزيز :٢٧٧ .

٧) ينظر: الصّوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين الصغير:١٥٦ .

٨) جماليات المفردة القرآنية:٢٢٢.

٩) نهج البلاغة:٣٤/٧٥-٧٦، السَّعُر - بالفتح - مصدر سَعَرَ النار - من باب نَفَعَ: أوقدها، وبالضم جمع ساعر، وهو ما أثبتناه، والمراد لبئس مُوقدوا الحرب أنتم، امْتَعَضَ: غَضِبَ.

١٠) ينظر: الأصوات اللغوية: ٦٨.
١١) الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: مكي بن أبي طالب:١٠٠، وينظر: في البحث الصّوتي عند العرب:٥٦.
١٢) دروس في علم أصوات العربية جان كانتنيو: ٣٨.
١٣) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية: ٦٤.
١٤) الكتاب: ٤٣٤/٤.
١٥) نهج البلاغة: ٩٧/ ١٧٦.
١٦) ينظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني:٤٩٤ .
١٧) ينظر: خصائص الحروف العربية ومعانيها:١٦٠.
١٨) ينظر: أصوات اللغة العربية:١٢٧ .
١٩) ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: ٨٣.
٢٠) نهج البلاغة: ٧٨/٣٥.
٢١) ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٣٨٩.
٢٢) نهج البلاغة: ٨٠/٣٧. فَشِلُوا: خاروا وجَبُنوا، وليس معناها أخفقوا كما نستعملها الآن. تَعْتَعُوا: ترددوا في كلامهم من عِيّ أو حَصَر.
٢٣) ينظر: الخصائص: ١٥٣/٢.
٢٤) لسان العرب: ٣٥/٨.
٢٥) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية:٦٣.
٢٦) ينظر: الأصوات اللغوية (الخويسكي): ١٥٩.
٢٧) ينظر: العين: ٥٣.
٢٨) ينظر: تهذيب المقدمة اللغوية:٦٤.

كتب محمد عبده عن (نهج البلاغة):

...كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية، وتدنو من القلوب الصافية، توحي إليها رشادها ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال، إلى جواد الفضل والكمال ....

وأحيانا كنت أشهد أن عقلًا نورانيًا، لا يشبه خلقًا جسدانيًا، فصل عن الموكب الإلهي، واتصل بالروح الإنساني، فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى،....

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقاق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير،....

ذلك الكتاب الجليل ...(نهج البلاغة) ولا أعلم إسمًا أليق بالدلالة على معناه منه، وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار.

(نقل بتصرف : من مقدمة شرح نهج البلاغة لمحمد عبده)

في المأكل والمشرب :

حكي أن هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال ذات يوم لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان.

فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه وهو قوله: **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا** وجمع نبينا صلى الله عليه وآله الطب في قوله: «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عودته».

فقال الطبيب: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

(مجمع البيان/ الطبرسي ج٤ ص٤١٣).

آمن الرسول

مفهوم العبادة وارتباطها بالنيّة

حسين جودي الجبوري
سكرتير التحرير

ينابيع توجد في الشريعة أشياء أمر الله سبحانه وتعالى بها، وشرط على المكلف أن يأتي بها من أجله سبحانه وتعالى بنيّة القربة وتسمى العبادات، ولا تكون صحيحة إلا مع تلك النية، وخلافاً لها توجد أمور لم يشترط فيها المشرع أن يؤتى بها بنيّة القربة، فيكون المكلف بالخيار إن شاء أتى بها من أجله سبحانه وإن شاء أتى بها بدافع من دوافعه الخاصة، وهي تقع صحيحة في الحالتين وتسمى هذه الأمور الأفعال التوصلية، أي أن المقصود بها شرعاً مجرد التوصل إلى فوائدها بدون

اشتراط نية مخصوصة في أدائها.

العبادات في الشريعة منها: الطهارة (الوضوء، الغسل، والتيمم) الصلاة (الأذان، الإقامة، والصلاة نفسها)، الصيام، الاعتكاف، الحج، العمرة، الطواف، الزكاة، الخمس، والكفارات، وأما التوصليات فمنها تطهير البدن والملابس من النجاسة والإنفاق على الزوجة والأقارب وصلة الرحم ووفاء الدين ونصح المستشير وغير ذلك[١].

وللعبادات دور مهم في الشريعة الإسلامية، وأحكامها تمثل جزءاً مهماً في الشريعة لما لها من دور تربوي في حياة الإنسان ومغزى عقائدي مقصود، وأما الأول فهو يمثل حركة تكاملية للتقرب إلى الله تعالى والوصول إليه والتشرف بلقائه، والثاني يمثل البعد الرسالي كون هذه الرسالة من الله تعالى ونزلت بيد الأنبياء وليست من صنع نفس الإنسان العاجز الفقير، وكلا هذين الأمرين يمثلان ركنين مهمين لأجل الوصول إلى التوحيد، لذا صار من المهم بيان مفهوم العبادة وعلاقة النية بها، وما معنى القربة إليه تعالى.

مفهوم العبادة:

فسر أهل اللغة مفهوم العبادة بالخضوع والتذلل وما شابههما.. منها ما ذكره الراغب الأصفهاني: (العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ولهذا قال: (**أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**) (يوسف:٤٠، الإسراء:٢٣)[٢].

والتعريف اللغوي يعطي معنىً عاماً، إذ مجرد الخضوع ليس لوحده عبادة، لأن العبادة فيها خصوصية ترتكز عليها إضافة إلى الخضوع، وهو أمر قائم بالضمير والقلب، وهو الأساس لأن تكون الأفعال عبادة، وهو الاعتقاد بأن المخضوع له هو المعبود، أي إن الخضوع لابد أن يكون مسبوقاً بذلك الاعتقاد الخاص لأن الخضوع عمل قائم بالجوارح كالرأس واليد وغيرها، فالإنسان يخضع بجلّ جوارحه أو بشيء منها أمام المعبود، لقد بلغ خضوع الصحابة للنبيﷺ بمكان أنهم كانوا يتبركون بفضل وضوئه وشعر رأسه والإناء الذي يشرب منه والمنبر الذي يجلس عليه، ومن الواضح أن هذا النوع من التبرك غاية الخضوع منهم للنبيﷺ ومع ذلك لم يبلغ حد العبادة، ولم يصفهم أحد بأنهم كانوا يؤلهون النبيﷺ أو يعبدونه، وعلى هذا فالعبادة هي الخضوع النابع عن الاعتقاد بأن المعبود هو الخالق والمدبر، وكون أزمّة الأمور ومصير الإنسان في الدنيا والآخرة بيده[٣]، وورد في تفسير الميزان: (إن العبادة هي نصيب العبد نفسه في مقام العبودية، وإتيان ما يثبت ويستثبت به ذلك، فالفعل العبادي يجب أن يكون فيه صلاحية إظهار مولوية المولى أو عبدية العبد كالسجود والركوع... وكلما زادت الصلاحية المزبورة ازدادت العبادة تعيّناً للعبودية)[٤]، إذن حقيقة العبادة تتقوم بأمرين:

١- العقيدة الخاصة التي تدفعه إلى العبادة فيكون الخاضع متخذاً المعبود من كونه رباً إلهاً أو خالقاً بيده مصير الإنسان.

٢- الأمر الثاني يرجع إلى جوارح الإنسان المشعرة بالتعظيم والخضوع أي الفعل أو القول الذي يُظهر ذلك الخضوع والتذلل[٥]، أي الخضوع لأوامر ونواهي الشارع المقدس لأن الإنسان بعد أن آمن بالله تعالى والإسلام والشريعة عرف أنه

مسؤول. بحكم كونه عبداً لله تعالى عن امتثال أحكامه، يصبح ملزماً بالتوفيق بين سلوكه في مختلف مجالات الحياة والشريعة الإسلامية[٦]، وأيضاً أن نظام العبادات طريقة في تنظيم المظهر العملي لعلاقة الإنسان بربه)[٧].

وسيأتي في معنى القربة ما الغاية من هذا النظام العبادي الذي يربط الإنسان بربه.

أما من ناحية العقيدة التي هي الأساس في دفع الإنسان نحو العبادة باتخاذ الخالق أو الإله رباً فإن الرب هو الذي يملك شؤون وجود الإنسان وحياته وآخرته أو تفويض الأمر إليه من الناحية التكوينية والتشريعية فالرب هو المالك لشؤون الإنسان والمتكفل لتدبيره وتربيته فهو سبحانه المدبر الوحيد للكون، وإذا كان معنى الخالق هو الموجد وكل ما في السماوات والأرض فهو مخلوق له تعالى فوجودها وأفعالها وآثارها كلها مخلوقة له تعالى وكل الأسباب والقواعد مخلوقة له تعالى مع آثارها وأفعالها فيكون الرب هو المالك لشؤون الشيء والمدبر لأمر الخلقة ودوامها واستمرارها وعلى ذلك تكون العبودية في مقابل الربوبية[٨].

العبودية والربوبية:

كيف نفهم هذه العلاقة بين المفهومين، وما حقيقة الربط بينهما؟ ، لقد أسلفنا أن العبودية هي خضوع للرب، أي توجه الكل إليه ومثوله بين يديه في صفة المملوكية المحضة فكل منهم مملوك لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، وذلك أمر بالفعل ملازم له ما دام موجوداً، قال تعالى: (**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**) (مريم:٩٣- ٩٥).

هكذا حالة العبد من الفقر والحاجة، فالمراد بإتيانه له يوم القيامة فرداً إتيانه صفر الكف لا يملك شيئاً مما كان يملكه بحسب ظاهر النظر في الدنيا، وكأن يقال: إن له حولاً وقوة ومالاً وولداً وأنصاراً ووسائل وأسباباً إلى غير ذلك، فيظهر يومئذٍ إذ تتقطع بهم الأسباب أنه فرد ليس معه شيء يملكه ولن يملك أبداً، فشأن يوم القيامة ظهور الحقائق فيه[٩] إذن عندنا جهتان: الرب مقصور في المالكية، والعبد مقصور في العبودية، فالملك حيث كان متقوم الوجود بمالكه، فإنك لو نظرت إلى دار زيد، فإن نظرت إليها من جهة أنها دار أمكنك أن تغفل عن زيد، وأما لو نظرت إليها بما أنها ملك لزيد لم يمكنك الغفلة عن مالكها زيد، فإنك لو عرفت أن ما سواه تعالى ليس له إلا المملوكية فقط وهذه حقيقته، فالنظر إلى ما سواه لا يجامع الغفلة عنه تعالى، وإذا كان كذلك فحق عبادته تعالى أن يكون حضوراً من الجانبين، أما من جانب الرب عزوجل فإنه يعبد معبوداً حاضراً وهو الموجب للالتفات المأخوذ في قوله تعالى: (**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**) عن الغيبة إلى الحضور، وأما من جانب العبد فتكون عبادة عبد حاضر من غير أن يغيب في عبادته، فتكون عبادته صورة فقط من غير معنى وجسداً من غير روح أو يتبعض فيشتغل بربه وبغيره[١٠].

النية والقربة في العبادات:

النية معناها لغة: مطلق القصد وإرادة الفعل وما في حكمة كما التروك، نوى الشيء: قصده، ونويت نية: أي عزمت، والنية في معناها اللغوي تكون داخلة في جميع العبادات بل في جميع الأفعال

الاختيارية، لأن من مبادئ صدور الأفعال هو العزم عليها.

أما اصطلاحاً في عرف الفقهاء فأورد تعريفها في العروة الوثقى: (وهي القصد إلى الفعل بعنوان الامتثال والقربة، ويكفي فيها الداعي القلبي ولا يعتبر فيها الإخطار بالبال ولا التلفظ، فحال الصلاة وسائر العبادات حال سائر الأعمال والأفعال الاختيارية كالأكل والشرب، والقيام والقعود ونحوها من حيث النية، نعم تزيد عليها باعتبار القربة فيها بأن يكون الداعي هو الامتثال والقربة)[١١].

أي إن الأفعال العبادية قصد الإتيان فيها هو الامتثال لله تعالى.

فالامتثال فرع وجود الأوامر الإلهية والتكاليف الشرعية، فهذه الأفعال حتى تقع عبادة يؤتى بها على وجه التذلل والتخضع، أي وجه التألّه أو أخذ المعبود إلهاً والتعبد له بالطاعة، وهو أدناها وما بينهما متوسطات.

وعلى هذا يكون معنى نية القربة المشترطة في العبادات هي أن يأتي المكلف بالفعل من أجل الله سبحانه وتعالى فهي الباعث نحو الفعل، سواء كانت هذه النية سببها الخوف من العقاب الإلهي أو رغبةً في ثوابه تعالى أو حباً له وإيماناً بأنه أهلٌ لأن يطاع، فالعبادة تقع صحيحة إذا اقترنت بنية القربة على أحد هذه الأوجه[١٢]، والمراد من القرب الذي يتوخاه العبد في عبادته هو طلب الحضور بين يدي الرب والشهود عنده. بحيث كأنه يراه ويشاهده شهوداً قلبياً لا بصرياً، ويستفاد من كثير من الأدعية والروايات أن الغاية القصوى من العبادات هو لقاء الله تعالى والوصول إلى هذه المرتبة التي هي أرقى المراتب التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، وربما يتفق الوصول إليها بعد التدريب ومجاهدة النفس والتضلع في العبادة المستتبعة ـ بعد إزالة الملكات الخبيثة ـ لصفاء القلب وقابليته لمشاهدة الرب والسير إليه فيروم العابد بعبادته النيل إلى هذه المرتبة التي هي المراد من التقرب منه تعالى[١٣].

المصادر:

١) ينظر الفتاوى الواضحة/السيد محمد باقر الصدر/ص٥١.
٢) مفردات ألفاظ القرآن ص٤٤١.
٣) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك/الشيخ جعفر السبحاني ص٣١- ٣٦، ص٤٨.
٤) تفسير الميزان/ الطباطبائي ج١ ص١٢٤.
٥) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك ص٤٤ وكذا رسالة موجزة في الأسماء الثلاثة الإله والرب والعبادة للشيخ جعفر السبحاني ص٤٤.
٦) الحلقة الأولى السيد محمد باقر الصدر ص١٧.
٧) الفتاوى الواضحة ص٧٩٨.
٨) بحوث قرآنية في التوحيد والشرك ص٢٤- ٢٥ وص٤٩.
٩) تفسير الميزان ج١٤ ص١١٠.
١٠) تفسير الميزان ج١ ص٨٢- ٢٩.
١١) مستند العروة الوثقى تقريرات السيد الخوئي ﷺ للشيخ البروجردي ج٣ ص١٣.
١٢) الفتاوى الواضحة ج١ ص١٥٠.
١٣) مستند العروة الوثقى ج٣ ص١٥.

آمن الرسول

(يا مَنْ ضاقَت الأشياءُ دونَه)
قبسٌ من مناجاة الإمام الكاظم عليه السلام

أ.م.د.علي مجيد البديري
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

عاش الإمام الكاظم عليه السلام حياة قاسيةً، كانت أبرز محطاتها قساوةً معاناته في السجن، الذي أمضى في ظلماته سنين من عمره الشريف. وكان عليه السلام قد حوَّل تقييده وحبسه إلى حركة عبادية دائبة، وسجدة تأملية طويلة على نحو ما روي عن بعض عيونه أنه قال: كنت أسمعه كثيراً يقول في دعائه وهو محبوس عندي: (اللهم إنك تعلم أنني كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت، فلك الحمد)[1]، على أن حياة المعصوم عليه السلام لا تتحول عن هذا المعنى، وهذه الحال حتى في أيامه

خارج القيد أو التضييق؛ فعن أبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني قال: (كانت لأبي الحسن موسى عليه السلام في بضع عشرة سنة سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس إلى وقت الزوال)[٢] ولم يكن في البيت الذي يأوي إليه غير خَصَفَة، وسيف، ومصحف. وكان عليه السلام مصداق كلام جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للعارف بالله والسالك إليه سبيله إذ يقول: (قد أحيا قلبه وأمات نفسه حتى دقَّ جليلُه ولَطُفَ غليظُه وبرق له لامع كثير البرق فأبان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الأبواب إلى باب السلامة ودار الإقامة وثبتت رجلاه بطمأنينة بدنه في قرار الأمن والراحة بما استعمل قلبه وأرضى ربه)[٣]، ولعله من المفيد في تأمل هذا الوصف استحضار ما عَلَّقَ به ابن أبي الحديد على هذه الكلمات شارحاً، حين قال: (يصفُ [أي أمير المؤمنين عليه السلام] العارفَ يقول: قد أحيا قلبه بمعرفة الحق سبحانه وأمات نفسه بالمجاهدة ورياضة القوة البدنية بالجوع والعطش والسهر والصبر على مشاق السفر والسياحة. حتى دق جليله أي حتى نحل بدنه الكثيف. ولطف غليظه تلطفت أخلاقه وصفت نفسه فإن كدر النفس في الأكثر إنما يكون من كدر الجسد والبطنة ـ كما قيل ـ تذهب الفطنة)[٤]

ومن هنا فإن ثبات القدم لا يتحقق إلا باستعمال القلب وصفاء النفس. على أن من المُسلَّم به والمفروغ منه أن المعصوم عليه السلام يمنحنا بفعله وكلماته هنا منهجاً، ويوضح سبيلاً للسالكين، ليس من شك في أنَّه عليه السلام لم يتدرج هذا التدرج في الوصول إلى محبة الله ورضاه فهو المطهر من الرجس، المنتجب من قبل الله تعالى لمحبته، والسبيل الناطق لهديه وشريعته.

وفي ما روته شقيقة السندي بن شاهك ـ حينما سجن الإمام في بيت أخيها ـ عن عبادة الإمام تصوير يتعلق بمستويات وتفاصيل هي في ظاهرها جزئية، مرتبطة بسياق زماني ومكاني خاص، قالت: (إنه إذا صلى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه إلى أن يزول الليل، ثم يقوم، ويصلي حتى يطلع الصبح، فيصلي الصبح، ثم يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر، ثم يذكر الله تعالى حتى يصلي المغرب، ثم يصلي مابين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات)[٥]، لم تفلح قيود الإمام عليه السلام التي حاولت إيقاف حركته الرسالية في ثنيه عن العطاء، إذ أخذت بعداً آخر عبر المناجيات والدعاء و تضمنت تصويراً عرفانياً خاصاً عن الوجود والإنسان والمعرفة، ولم يكن هذا التصوير بعيداً عن تدقيق النظر في مشكلات الإنسان ومعاناته تحت بطش الظالمين وسطوتهم. ولعل في هذا رداً على من يرى عدم فاعلية الجمع ما بين الوظيفتين العبادية والإرشادية التغييرية، أو هيمنة إحداهما على الأخرى في الأهمية في سياق معين؛ فـ (لا الاعتزال الصوفي دليل الارتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع شاهد الانفصال عن الحق، الميزان في الأعمال هو دوافعها)[٦].

بعض أنماط التصوير في مناجات الإمام الكاظم عليه السلام

يعطي الإمام عليه السلام مساحة واسعة من فضاء مناجياته لتصوير الحقيقة الغيبية للذات الإلهية المقدسة، ويأتي في الدرجة الثانية من حيث الحضور تصوير الذات بكل

حالات خوفها من مولاها وبارئها، ورجائها عفوه ورحمته ومغفرته. والإمام عليه السلام في كل ذلك يعيش داخل الدلالة المتشكّلة، ويذوب ارتباطاً بالله، وتعلقاً بنور وجهه الكريم، مبتغياً في ذلك قرباً واتصالاً به سبحانه، تحقيقاً لرسالة فكرية ومعرفية وإرشادية يؤديها إلى الإنسان السالك طريق الحق قبل أية غاية ثانوية أخرى.

١. تصور الحقيقة الغيبية للذات الإلهية

يكاد أن يكون هذا النمط من التصوير غالباً على الأنماط الأخرى من التصوير في مناجيات الإمام عليه السلام، ومهيمناً عليها. ولا يخفى السبب القائم وراء ذلك على المتأمل لهذه الظاهرة فالمناجاة خلوة مع الحبيب تقدس بهاؤه، وفيها لا يصغي المناجي لغير قلبه المتعلق بذات الله تعالى، حيث نجد الإمام عليه السلام يدخل في تواصل روحي متسام مع الحبيب الكلي واجب الوجود المطلقَ والفناء به، ولهذا نجد هيمنة هذا النمط وغلبته على بقية الأنماط في المناجاة الكاظمية. من ذلك نقرأ مما يناجي به عليه السلام في قنوته: (يا مفزع الفازع، ومأمن الهالع، ومطمع الطامع، وملجأ الضارع، وغوث اللهفان، ومأوى الحيران، ومروي الظمآن، ومشبع الجوعان، وكاسي العريان، وحاضر كلّ مكان، بلا درك ولا عيان ولا صفة ولا بطان، عجزت الأفهام، وضلت الأوهام عن موافقة صفة دابة من الهوام، فضلاً عن الأجرام العظام، مما أنشأت حجاباً لعظمتك، وأنى يتغلغل إلى ما وراء ذلك بما لا يرام)[٧].

إنَّ حضور المناجي حضور ناقص فهو الفازع، والهالع، والطامع، والضارع، و و.. ولا يشكل ذلك حضوراً حقيقياً؛ ولهذا فهو سرعان ما يغيب أمام وجوده تعالى في كل مكان فهو المطلق، الذي لا يدرك، ولا يحد، ولا يمكن لعقول عاجزة أن تحيط به تعالى، وهي أعجز ما تكون أمام إدراك صفة دابة ضعيفة من دواب الأرض، أو معرفة حقائق أجرام هائلة في كون متسع، فكيف والحال هذه يمكن لها أن تقترب مَن إدراك كنه الذات الإلهية المقدسة؟

وتتجلى في تصوير آخر حقائق يرسمها الإمام عليه السلام حول طبيعة معرفة الإنسان المربوب المخلوق لربه وخالقه، حيث لا فضل لهذا المخلوق الضعيف في هذه المعرفة، ومنتهى الأمر كله للموجد والفاطر والخالق تقدست أسماؤه. يقول عليه السلام: (الحمد لله الملهم عباده الحمد، وفاطرهم على معرفة ربوبيته، الدال على وجوده بخلقه، وبحدوث خلقه على أزله، وبأشباههم على أن لا شبه له..)[٨].

يكون البدء هنا بالشكر والثناء لله على نعمه وآلائه ورحمته وإحسانه، وهو نمط عبادي لا تخلو منه مناجاة أو دعاء؛ فهو مفتتح الرحمة، وأدب من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى، وكذلك هو غاية الداعي؛ فرضا الله تعالى والفوز بمحبته ولطفه غايته وهدفه المقدس الأعلى. ويتضمن التصويرُ وصفاً عميقاً، بدلالات فائقة وكبيرة، يَعمدُ إلى صنعه الإمام عليه السلام في هذا المقطع عبر جمل تتضمن تقابلاً بين وصف الله تعالى وبين صفة الإنسان، فهو تعالى المُلهم للمعرفة والطاعة والثناء، وهو الخالق الذي دلَّ على وجوده بخلقه، من غير أن يكون هذا التدليل حاجة لما خلق، فهو الأزلي الذي تنزه عن الشريك والشبيه، لذا فإن العقول لا خيار لها سوى أن تكون عاجزة تمام العجز عن معرفة كنه

الحقيقة الغيبية المقدسة، يقول الإمام عليه السلام في مناجاة أخرى يخصصها تعقيباً لصلاته: (إلهي خشعت الأصوات لك، وضلّت الأحلام فيك، ووجل كلُّ شيءٍ منك، وهرب كلُّ شيءٍ إليك، وضاقت الأشياء دونك، وملأ كلُّ شيء نورُك، فأنت الرفيعُ في جلالك، وأنت البهيُّ في جمالك، وأنت العظيم في قدرتك، وأنت الذي لا يؤودك شيء، يا منزل نعمتي، يا مفرج كربتي، ويا قاضي حاجتي، أعطني مسألتي بلا إله إلا أنت)[٩].

نرى في هذا المقطع القصير تكثيفاً وإيجازاً مُبهراً، تنتقلُ في نسيجه صورٌ متتابعة للحقيقة الغيبية المقدسة، وبطريقة يقف فيها المناجي متأملاً جلال الله تعالى، وتجسد كل جملة في المقطع ملمحاً من صورة واحدة. ولا تبعث دلالة الألفاظ (خشع، ضلّ، وَجِلَ، هرب، ضاق) ـ على ما فيها من طاقة دلالية تشيع جو الرهبة ـ شعوراً باليأس والقنوط والخوف السلبي، بل تفتح فضاء للتفاؤل تستطيل معه يد الراجي وتنبسط أمام فيوضات منزل النعمة، ومفرج الكربة، وقاضي الحاجة. ومن هنا تتعمق عقيدةُ المُناجي حينما ينتهي إلى التوحيد الذي ينتظم حوله محوراً وعيُه وكيانُه، فهو سبيل إدراك معنى العبودية الحقَّة للخالق جلّ وعلا والتشرف بها. لذا يحضر هذا الوعي دائماً ساعة التأمل في وحدانية الله تعالى؛ حيث يكون التصوير العرفاني معتنياً بتحقيق هذا المعنى في أكثر من مناجاة، نقرأ من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله عليه السلام في ثناء الله جل جلاله بذكر أسمائه وصفاته: (بسم الله الرحمن الرحيم سبحانك اللهم وبحمدك، أثني عليك وما عسى أن يبلغ من ثنائي عليك، وأمجدك مع قلة عملي وقصر ثنائي)[١٠].

ثم تبرز صورة الذات، صورة العبودية متوجهة لجلاله سبحانه: (وأنت الخالق وأنا المخلوق، وأنت الرازق وأنا المرزوق وأنت الرب وأنا المربوب وأنا الضعيف وأنت القوي، وأنا السائل وأنت الغني، لا يزول ملكك، ولا يبيد عزك، ولا تموت، وأنا خلق أموت وأزول وأفنى، وأنت الصمد الذي لا يطعم، والفرد الواحد بغير شبيه، والدائم بلا مدة، والباقي إلى غير غاية، والمتوحد بالقدرة، والغالب على الأمور بلا زوال ولا فناء)[١١] ويتشكل التصوير هنا من التضاد والمقابلة حيث تتجسد حركتان؛ الأولى فاعلة، وتتعلق بالذات الإلهية المقدسة، وهي تبدأ من البسملة و لا تنتهي حتى نهاية المناجاة، ويكفي مفتتحها لتأكيد هذا المعنى.

أما الحركة الثانية فهي عاجزة ويمثلها الإنسان /الداعي؛ ففي مقابل مجد الله تعالى وخالقيته، ورازقيته، وربوبيته، وقوته، وغناه، ودوامه، وبقائه، صورة الداعي قاصراً، مقصراً، مخلوقاً، مرزوقاً، مربوباً، ضعيفاً، فقيراً، زائلاً، فانياً. ويفتح هذا التقابل هامشاً دلالياً يتعلق بالسياق الذي يعيش فيه الداعي لحظاته وتفاصيله مختلفة حتماً باختلاف الداعي وطبيعة أحواله ومقاماته. فالتقابل هنا أضفى حركة دلالية على الصورة بطريقة عمَّقت من ملامح الداعي وجعلتها أكثر وضوحاً، وأشعرتنا بخصوصية الحالة والتجربة. فليست المسألة مجرد تقابل مألوف و معروف بين العبد وخالقه، ومن هنا كان الوصف تمهيداً لتغييب الأنا أمام حضور الذات الإلهية المقدسة في الحركة

التالية للمناجاة، حيث تتحرك إلى حالة أخرى أو تجربة أخرى تتعلق الآن بمعرفة الله تعالى.

٢ـ تصوير الذات

تَعمد المُناجاة بشكل مُتكرر إلى تصوير الذات وتشخيص أحوالها المُتعددة، وهي تحرصُ على الإقرار بنزولها منزلةَ المقصر، المذنب، المُحتاج للطف المولى وعنايته. ويرتبطُ هذا النَّمط من التصوير ارتباطاً وثيقاً مع النمط الأول، فقارئ تصور المناجي للحقيقة الغيبية للذات الإلهية يستحضرُ واقعَه هو، وحالَه المرتبطةَ بِبارئ النفوس ورازقها؛ فحين يصفُ الله بالرحمة فإنّه (المناجي) محطّ هذه الرحمة، وهو الراغب في أن يكون موضع نزولها الدائم، لا لشعوره بأنه مستحق لها بعمله، بل ليقينه بأنها وسعت كل شيء. لذا فإن وصف الذات سيكون مقروناً بطلب تبدل الحال الراهنة إلى ما هو أفضل وأكثر قرباً من الله تعالى، يقول الإمام عليه السلام في إحدى مناجياته: (اللهم فرغ قلبي لمحبتك وذكرك، وأنعشه بخوفك أيام حياتي كلها واجعل زادي من الدنيا تقواك، وهب لي قوة أحتمل بها جميع طاعتك، وأعمل بها جميع مرضاتك، واجعل فراري إليك ورغبتي فيما عندك، وألبس قلبي الوحشة من شرار خلقك، والأنس بأوليائك وأهل طاعتك، ولا تجعل لفاجر ولا لكافر عليَّ منّة، ولا له عندي يداً و لا لي إليه حاجة)[١٢].

ونرى هنا إن توالي عدد من الصور الجزئية في سياق التصوير الكلي في النص قد حقق كثافة كمية ونوعية في الصور الدالة، وهي بدورها تخلق قيماً تعبيرية وتياراً شعورياً واحداً يهيئ المتلقي إلى الدخول فيه والاقتراب من مفاتيح التجربة الخاصة التي يعيشها العارف لحظة المناجاة.

إن استمرار المناجاة في تجسيد صور التذلل والخضوع لله تعالى بطريقة متنامية من شأنه أن يوصل الداعي إلى حركة ابتعاث ينتقل بها الداعي إلى حالة أخرى يعيشها لتمتد الحركة صعوداً إلى حالة إشراقية فائقة حينما يعود الداعي إلى علاقته بالآخر الأرضي (علاقته بالآخرين من بني جنسه) وذلك عبر: (الوحشة من شرار الخلق، الأنس بالأولياء وأهل الطاعة)، بعدما أسست لذلك الحركة الأولى في المناجاة لفعل الانقطاع إلى الله والاشتغال بطلب مرضاته (فرِّغ قلبي لمحبتك وذكرك .. فراري إليك ورغبتي فيما عندك).

ويتكرر هذا المستوى من التصوير ـ كما أشرنا إلى ذلك ـ بطرق متنوعة، نقرأ مناجاته عليه السلام: (أسألك سؤال من أساء وظلم واستكان واعترف أن تغفر لي ما مضى من الذنوب التي حصرتها حفظتك، وأحصتها كرام ملائكتك عليَّ وأن تعصمني من الذنوب فيما بقي من عمري إلى منتهى أجلي)[١٣] وواضح أن المناجاة تضع قارئها هنا موضع المقصر المغتر بالدنيا والمقيد بحبائلها، وهي وسيلة تصويرية تتضمن بعداً توجيهياً للقارئ، الداعي، توقفه على عيوب نفسه عبر نظرة عميقة تتجاوز الوقوف السريع، إلى الكشف عن دوافع التقصير والغرور والابتعاد عن سبيل الله. ويشعر المناجي هنا بأن ذاته تقف حاجزاً أمام سيره وسلوكه إلى الله؛ فمادام الوجود الوهمي للسالك قائماً وحاضراً في مقام المناجاة والدعاء فهو الحجاب الوحيد الذي يقف بين الحق تعالى والسالك، فالحق في هذه

الحال محتجب بستار الأسماء والصفات كما يعبر أهل العرفان - ومع وجود هذه الحجب النورانية يصبح السالك أسير الأنا التي لابد حينئذ من التخلص منها، واجتيازها نحو عالم الإطلاق[١٤]، ولهذا يحرص المعصوم عليه السلام على تأكيد معنى التقصير عند العبد حتى في أشرف حال يكون فيها العبد قريباً من ضفاف رحمة الله ورضوانه وهو في حالة السجود، فنراه عليه السلام إذا رفع رأسه من آخر ركعة الوتر يقول: (هذا مقام من حسناته نعمة منك، وشكره ضعيف، وذنبه عظيم وليس لذلك إلا دفعك ورحمتك، فإنك قلت في كتابك المنزل على نبيك المرسل: **(كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)** (الذاريات:١٧ -١٨) طال والله هجوعي، وقلَّ قيامي، وهذا السَّحر وأنا أستغفرك لذنبي استغفار من لا يجد لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً)[١٥] تفضي مقاطع المناجاة إلى أفق روحي، ويقظة روحية يتدرج فيها عروج الداعي نحو حالة إشراقية، تبدأ بالوقوف على عيوب النفس وإنزالها منزلة المقصر المفتقر إلى توفيق الله ولطفه، وانتقالاً مع مدارج النفس باتجاه تحقق الطمأنينة القلبية الكاملة عبر تذوق حلاوة الذكر وإشراق نور الحق على النفس. و يظهر هذا الشعور بالتسليم مشفوعاً بالخوف من أن تكون الخطيئة والظلم والإسراف وإتباع الهوى والشهوات محيطة بالعبد، في صورة لا يجد مفراً منها إلا الاستعاذة بقوة الله ولطفه من الوقوع فيها: (وأعوذ بك يا إلهي أنْ تحيط بي خطيئتي وظلمي وإسرافي على نفسي واتباعي لهواي واشتغالي بشهواتي، فيحول ذلك بيني وبين رحمتك ورضوانك، فأكون منسياً عندك، متعرضاً لسخطك ونقمتك)[١٦].

إنَّ هذا الوعي بضعف النفس، المشفوع بالخوف من التعرض لسخط الله يحقق ارتكازاً لحياة العقل النظري عند العبد على (المعرفة الصائبة) بحقائق النفس والوجود، بينما ترتكز حياة العقل العملي على (المحبة الصادقة) لله تبارك وتعالى، وتجلي هذه المحبة في سلوك العبد وعلاقته بالله تعالى وبالآخر في مختلف أشكاله وحالاته. وهكذا يكون الوعي بالذات موجهاً للمناجي صوب مجاوزة الذات، والخطو نحو رحاب المولى تقدست أسماؤه■

---

١) الإرشاد/الشيخ المفيد/ج٢ص٢٤٠.
٢) بحار الأنوار/ المجلسي: ٤٨: ١٠٧
٣) نهج البلاغة: شرح محمد عبده، د.ت ٢: ٢٠٤
٤) شرح النهج/ ابن أبي الحديد المعتزلي: ١١/ ١٢٧
٥)البداية والنهاية/ابن كثير د. ت، ٢: ١٢
٦) وصايا عرفانية /السيد الخميني ص ٥٤ - ٥٥
٧) الصحيفة الكاظمية والرضوية الجامعة: ١٢٠
٨) م.ن: ١٧
٩) م.ن: ٣٥
١٠) م.ن: ١٩
١١) م.ن: ١٩
١٢) م.ن: ٥٧
١٣) م.ن: ١٠٥
١٤) ينظر معرفة الله/ السيد محمد الحسين الطهراني، ج١: ٢١٣
١٥) الصحيفة الكاظمية والرضوية الجامعة: ١١٩.
١٦) م.ن: ١٠٥

مع الفقيه

أجوبة استفتاءات مطابقة لفتاوى سماحة السيد الحكيم (مدّ ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

س هل يستطيع وكيل الحاكم الشرعي أن يعطي ولاية لأعضاء الجمعية على اليتامى المستفيدين من الجمعية أو لابد من تحديد المولى عليهم بالتشخيص؟

ج **تقدم المدار على إدارة الشخص لأمور اليتيم بالمعروف سواءً كان شخصاً معيناً أم جهة معينة تتعاقب أعضاؤها.**

س هل يستطيع الوكيل أن يشخص من الأعضاء شخصاً ويخوله في إعطاء الولاية لمن يثق به من أعضاء الجمعية على الأيتام المنتسبين في الجمعية؟

ج **يظهر الجواب عنه مما سبق.**

س هل يتعين على ولي اليتيم أن يصرف فيما هوالأصلح أو فيما هو الصالح، وكذلك للفقراء عامة من الصدقات؟

ج **أما ولي اليتيم فإن له أن يتصرف بالوجه الصالح ولا يجب عليه اختيار الأصلح إلّا مع تيسره، بحيث يكون تركه والاكتفاء بالصالح تفريطاً في حق اليتيم، وأما عموم الصدقات للفقراء فالأمر فيها تابع لقصد دافع المال المتصدق به.**

س هل يجوز لولي اليتيم أن يصرف على اليتيم من الكفالة في الأمور الآتية: هدايا نجاح للتشجيع على التعليم ـ أجهزة كهربائية ـ رحلات للترفيه عن اليتيم أو لزيادة ثقافته ـ بناء أو ترميم دار ـ ملابس ـ مواد نظافة؟

ج **إذا كان يرى شيئاً من هذه الأمور صلاحاً لليتيم جاز الصرف فيه، إلّا أن يكون اليتيم محتاجاً لما هو الأهم، بحيث يكون صرف المال في هذه الأمور يفوّت عليه الأهم، فان اللازم الصرف في الأهم، ولا يجوز الصرف في هذه الأمور لأنه يكون تفريطاً في حق اليتيم.**

س هل يجوز جعل أحد أعضاء الجمعية ولياً مع وجود الجد أو ولياً آخر مثل الأم وغيرها؟

ج **الجد للأب هو الولي الشرعي، ولا يجوز لأحد مزاحمته، ومع إهماله أو فقده فالولاية للأولى بميراث اليتيم وهي الأم إلّا أن تكون في مقام الإهمال، فيجوز لكل أحد أن يتولى أمره ويقوم بشؤونه بالمعروف.**

س في فرض عدم كفاءة الجد قصوراً أو تقصيراً على الولاية، هل يصح للأب أن يعين ولياً أو يوكل ذلك للحاكم الشرعي؟

ج **أما في حياة الأب فالولي هو لا غير، نعم له أن يوصي لغيره بعد وفاته بالولاية على اليتيم إذا كان الجد غير كفؤ، وله أن لا يوصي، فيتولى أمره كلّ من يستعد لذلك ويحضر له ويتقدم الأولى بميراثه، كما سبق. نعم سبق أنه يستعين بشخص عادل في الأمور المهمة.**

س هل للولي بالأصالة كالأب والجد أن ينقل الولاية بالأصالة إلى غيره؟

ج **لا يجوز له ذلك، إلّا أن يوصي به على أن يتولاه بعد موته.**

س هل يجوز الأخذ من مال اليتيم بالولاية وصرفه في الخير العام؟

ج **لا يجوز ذلك.**

س لو أعطى الكافل للجمعية إذناً عاماً للتصرف في صرف الكفالة بما يعود بالنفع على اليتيم وفيما تراه صالحاً، فهل يجوز لهم التصرف في الصرف لكل ما يحتاجه اليتيم؟

ج **نعم يجوز إلّا أن يعلم بعدم قصد صاحب الكفالة ذلك.**

س إني أعمل في كيشوانية ورثتها من أجدادي، وعملي فيها يتطلب مني أن أعرف الأحكام الشرعية ذات العلاقة بطبيعة عملي وإني أعرض الأسئلة بين أيديكم راجياً منكم الإجابة عليها:
أـ هل يجوز لي أن أعمل في الكيشوانية مع إني ألزم الزائر بأجر معين على عملي؟

ج **نعم يجوز العمل بالكيشوانية على النحو المذكور، بل ويثاب عليها إذا قصد منها خدمة الزائرين.**

ب ـ هل يجب علي إعطاء شيء من المبالغ التي أحصل عليها للأقارب، علماً أنهم من ورثة جدي باعتبارنا نشترك جميعاً في كوننا من ذريته وقد ورثنا الكيشوانية منه.

ج **ما يعطيه الزائرون من هدايا فهو ملك لمن أعطوه وقصدوا الهدية له ولا علاقة لهؤلاء الأقارب في ذلك.**
نعم لا يجوز لك منعهم أو منع غيرهم ممن يريد أن يعمل معك فلو حصل الاختلاف بينكم في كيفية القيام بالعمل المذكور لزم التصالح بينكم لحل الاختلاف بتوزيع الوارد أو توزيع أوقات العمل أو نحو ذلك، وأما من لا يريد العمل فليس له المطالبة بشيء.

جـ ـ هل الكيشوانية تدخل في ضمن ما يورث نوزع وارداتها بحسب صفات الارث؟

ج **ليست الكيشوانية ملكاً لأحد فلا يشملها حكم الارث بل هي مكان عام يتعرض القائم عليها من خلال الخدمة التي يقوم بها لتحصيل التبرعات والهدايا، فلا يجوز لأحد أن يمنع شخصاً من القيام بالعمل المذكور.**

د ـ هناك بعض الأقارب ممن ليسوا بصدد القيام بالعمل المذكور يتوقعون استحقاق شيء من الموارد باعتبار القرابة لا غير، فهل هم على حق في توقعهم؟

ج **لا يستحقون شيئاً من ذلك وإنما تعطيهم بعنوان صلة الرحم أو تجنب المشاكل إذا رغبت في ذلك.**

س أهداني والدي قبل وفاته مبلغاً من المال، واشترط علي أن لا أشارك إخواني في الإرث بعد وفاته، فقبلت الشرط وأسقطت حقي من الإرث. وبالتالي يكون إسقاطي في ضمن عقد الهبة اللازم هنا، لكون الهبة بين الأرحام.
السؤال: توفي والدي الآن، فهل إسقاطي حقي في الإرث قبل وفاة والدي ضمن العقد اللازم، أي قبل أن أستحق الإرث، هل هذا الإسقاط صحيح، أم ليس كذلك ويجوز لي أخذ حصتي من الإرث؟

ج **يجوز أن يهب والدك لك المبلغ المذكور بشرط أن تملك إخوتك حصتك من الإرث بعد وفاة أبيك ولا يصح اشتراط الإسقاط .**

س عندي حساب بنكي في بنك أجنبي (من بنوك غير المسلمين) وعند زوجتي حساب بنكي في نفس البنك، أهديت زوجتي مبلغاً من المال وذلك عبر الطريقة التالية: أدخلت في حسابها البنكي المبلغ المذكور وذلك عن طريق خصم المبلغ من حسابي البنكي وإدخاله في حسابها البنكي بواسطة بعض الأرقام الكمبيوترية التي يجريها موظف البنك، حيث ان البنك لم يستلم مني نقد وإنما قام بالخصم فقط بواسطة الطريقة المذكورة.
فهل تحقق القبض للزوجة بإدخال المبلغ المذكور بالطريقة المذكورة أم انها تحتاج إلى القبض باليد وما ذكر لا يحقق القبض؟ وهل يوجد فرق إذا كان البنك حكومياً أو أهلياً؟

ج **يعتبر هذا من القبض، غاية الأمر ان البنك الحكومي لا يتحقق فيه القبض حتى مع التسليم المباشر والوضع في حساب الموهوب له.**

س إذا كانت الهبة مشروطة بعمل معين فهل للواهب الرجوع قبل عمل المتهب؟

ج **نعم له الرجوع عن الهبة قبل عمل المتهب.**

س شخص وهب إلى بعض أبنائه مبنى ولهُ مدخول من المال بعد وفاة الواهب تقاسمُ الإيجار جميع الابناء والموهوب لهم يعلمون بحقهم ولكن سكتُوا من باب التقية حتى أخبروهم بعد فترة من الزمان. هل يجب على من تقاسم المال من ليس له حق مع العلم انه كان جاهلاً ثم علم انه ليس له حق فهل يجب عليه ارجاع المال؟

ج **إذا كان المبنى المذكور مقبوضاً في حياة الواهب للموهوب له فالإيجارات ملكه، وعليه فإذا لم يكن توزيع الإيجارات برضاه جاز له المطالبة بها، وإذا لم يكن مقبوضاً في حياة الواهب فالهبة باطلة والإيجارات للورثة.**

س إذا دفع زيد كتابا لأبيه ومات زيد والأب لا يعلم. هل الكتاب هدية أو استعارة فهل يجب على الأب إعادته للورثة؟

ج **الاصل في الدفع التمليك إلا ان تقوم القرائن على خلاف ذلك.**

س لو قبضت كفالة ليتيم معين (مثلاً لأنثى) كيف تصرف؟ وإذا قبضت ليتيم باسمه كيف تصرف؟

ج **تصرف في شؤونه وسدّ حاجته.**

محمد سليم عرفة

حكاية مستبصر

مولده ونشأته: ولد عام ١٩٦٥م في دمشق بسوريا، واصل دراسته الأكاديمية حتى حصل على شهادة مساعد مهندس اختصاص الكترون، كانت نشأته في عائلة تعتنق المذهب الحنفي .

اهتمامه بالشؤون الدينية: يقول الأخ محمد سليم: كنت أتردد منذ صغري على المساجد وحلقات الدرس الدينية مما سمح لي بدراسة الفقه على أيدي عدة من مشايخ دمشق، وكنت مهتماً بدراسة الأديان السماوية ومناقشة البعض من معتنقيها، كما كنت مهتماً بالبحث حول الخلافات الدينية.

بداية تعرفه على التشيع: يقول الأخ محمد سليم: عملت لدى خال لي عنده مكتب عقاري، ومن خلال عملي في هذا المكتب كنت أصادف بعض رجال الشيعة الوافدين من العراق لزيارة السيدة زينب عليها السلام، لذلك كان يتردد الكثير منهم لاستئجار بيوت قريبة من هذه المنطقة فيدخلون هذا المكتب ليسألوا عن البيوت، وقد كلمني أحدهم وكان قادماً إلى المكتب ليستأجر داراً للسكن، وقد أخبرني: أنه يدرس في الحوزة، ولم أكن قد سمعت بهذا التعبير من قبل، فسألته ماذا تعني (الحوزة) فوضح لي وسألني: ماذا أعرف عن الشيعة؟. فقلت له: لا أعرف إلاّ أنه مذهب من المذاهب الإسلامية، وإنهم يقدّسون سيدنا علياً (ر) وأهل بيته ويرون أنه أفضل من كل الصحابة، هذا ما أخبرته به فقط مع أني كنت أخفي في قرارة نفسي ما كنت أسمعه من مشايخي ومن العوام من تشنيع على الشيعة وذلك منعاً للإحراج، ولكنه بدأ يكلمني عن بعض الأمور الخلافية بين الشيعة والسنة، وقد كنت أندهش لأن ما أسمعه منه لم أسمع به من قبل، وعندما رآني غير مصدّق لكلامه قال لي: ألست تقول بأنك تحب المطالعة وإنك لا مانع عندك من قراءة أي كتاب؟ فقلت: نعم فنصحني بقراءة كتاب (المراجعات)، وقال لي: إن هذا الكتاب حوار بين شيخ سني وآخر شيعي وأن كل ما فيه هو من كتب وصحاح أهل السنة، وقد حاولت جاهداً أن أجد هذا الكتاب في المكتبات التي أعرفها في دمشق، لكنني لم أصل إلى النتيجة المطلوبة.

اندهاشه لمأساة واقعة الطف: يقول الأخ محمد سليم: وفي هذه الفترة جلب لي شقيقي كتاب (المائة الأوائل من النساء) وكان قد قرأه واستوقفته خطبة السيدة زينب عليها السلام وهي في بلاط الطاغية يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وذلك بعد واقعة كربلاء، ولم أكن أعلم عن هذه الحادثة شيئاً، ولم أسمعها من أحد من قبل، مع أني ومنذ طفولتي أتردد إلى المساجد وأحضر حلقات الدروس، ولكن لم أسمع

عن هذه الحادثة، وقد علمت بعد ذلك أن ما كنت أقرأه كانت كتباً موجهة تحاول أن تمنع أن تصل إلينا مثل هذه الأمور ...، وبعد قراءتي لهذه الخطبة حاولت أن أبحث في الكتب عن واقعة كربلاء واندهشت عندما قرأتها في تاريخ الطبري، فسيدنا الإمام الحسين سيد شباب أهل الجنة كما جاء في الحديث الشريف (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، قد قتل هو وأهل بيته وأصحابه في هذه الحادثة أمام أعين المسلمين وسمع الآخرين، وقاتلهم يزيد وجيشه، وهذا الطاغية كان خليفة المسلمين في ذلك الوقت فهذه الحادثة جعلتني أعزم على أن أعرف كيف وصل هذا الطاغية إلى الحكم فتحكم بالإسلام والمسلمين وتجرأ على ريحانة رسول الله ﷺ.

قراءته لكتاب المراجعات: يقول الأخ محمد سليم: (ومن حسن الحظ في تلك الفترة أن التقيت صدفة بأحد أصدقائي لدى خروجي من صلاة الجمعة يحمل كتاباً فقلت له: ما هذا الكتاب؟، فقال بنفور: كتاب عن الشيعة، فقلت له: هاته، وكم كانت فرحتي شديدة عندما قرأت عنوان الكتاب (المراجعات) بين السيد شرف الدين والشيخ سليم البشري، فهذا ما كنت أبحث عنه، وقد حاول صديقي منعي من أخذه بحجة أنه مختلق كما يعتقد وأن شيخه قد نصحه بعدم قراءته لذلك هو لم يقرأه، ويريد أن يعيده للشخص الذي أعاره إياه، فقلت له: لا عليك سوف أقرأه بسرعة وأعيده اليك غداً، وفعلا قرأت الكتاب وأنهيته في ساعة متأخرة من تلك الليلة، وقد أعدت قراءته لأتأكد مرة ثانية من حقيقة الروايات، والأحاديث المثبتة في هامش الكتاب، والتي استشهد بها السيد شرف الدين، وقد قلت في نفسي إن كانت هذه الروايات موجودة في كتب أهل السنة وتواريخهم وتفاسيرهم، فسوف أعيد النظر في قناعاتي، فلا يهم إن كان هذا الكتاب ملفقاً أو صحيحاً، لأن الغاية هي ما جاء فيه وليس غير ذلك، وبالفعل، فقد تأكدت من وجود هذه الأحاديث في الصحاح وكتب التفسير والتاريخ، وكل ما قاله واحتج به السيد عبد الحسين شرف الدين من حجج باهرة لا يمكن نكرانها إلا على من لا يريد أي يرى ضوء الشمس.

ردود فعل أبناء مجتمعه: يقول الأخ محمد سليم في مجال المضايقات التي واجهها بعد التوصل إلى القناعات الجديدة: عندما رفضت أن أحجز عقلي حكموا عليّ بالضلالة.

فهل يريد منا هؤلاء أن نكون مثلهم، وقد أمرنا الله أن نحكم عقلنا من بعد الكاتب وسنة رسول الله، قال تعالى: (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**..) (سورة محمد:٢٤)، لذلك فقد حررت عقلي ومضيت في سبيل الله لا أخشى لومة لائم، وبذلك قد نزعت التعصب الأعمى وما أورثه لي أسلافي، فانكشف لي: ما حاولوا تغطيته والتعتيم عليه عبر العصور.

(**نقل بتصرف: موسوعة من حياة المستبصرين/ مركز الابحاث العقائدية/ ج٣**)

فاحَ الأريجُ

قصيدة في ذكرى مولد
الإمام الحسن العسكري عليه السلام

الشاعر: السيد نصرات قشاقش العاملي

فـــاح الأريـــج بحفلنا والعنبر ... والـــروض مـــاد ويـــثـرب تتنور
وتـــلألأت شـمـس الـــدج بضيائه ... ومـــلائـــك الـرحـمـن دراً تنثر
وتـبـاشـرت حـور الجنان وعيدت ... إذ طـاب في ذكـر الـكـرام المحضر
يـا قومنا الأشـــراف يـا أهـل التقى ... يـا مـن بمولده الشريف تجهروا
صـلـوا عـلـى طـه الأمـيـن وكـبـروا ... الـلـه أكـبـر قـد أتـانـا العسكر
حـسـن زكـــي مـن سـلالـة أحمد ... بـــدر بـهـي لـلـكـرامـة مـصـدر
أجـــداده الـغـر الـهـداة وبـدؤهـم ... المصطفى مـولـى الأنـــام وحيدر
والـطـهـر فـاطـمـة وسـيـدة النساء ... والمجتبى الحسن الزكي الأزهـر
والمفتدى ذاك الحسين بكربلا ... أحيى الـثـرى فـدم الشهادة مفخر
وعـلـي زيـن الـعـابـديـن فما ترى ... ومـحـمـد رمـز الـعـلـوم وجعفر
والكاظم المسجون موسى والرضا ... ومـحـمـد ذاك الـجـواد الأطـهـر
مـن بعده الـهـادي علي المرتجى ... والـعـالـم الـصـديـق هـذا العاشر
ثـم الـزكـي الـعـسـكـري ولـيـدنـا ... والـقـائـم الـمـهـدي لـيـث قسور
هـا هـم أئـمـتـنـا وقـادتـنـا وهـم ... خلفاء رب المشرقين فابشروا
الـلـه خـصـهـم الـمـكـارم والـعـلا ... وحباهم الفضل الـذي لا يحصر
فـاخـلـص ولاءك لـلإلـه بحبهم ... فـهـم الـصـراط ولـلـنـجـاة المعبر

وتبرى من أعدائهم ثم اتقي ... من حر نار الله ساعة تسعر
أعطيك إن شئت الحقيقة فيه ... أسماؤهم إذ ما بدا يتستروا
أولست تعرف من هو الزنديق ... والمكار والملعون ذاك المدبر
الأول الزنديق والثاني الذي ... يوم السقيفة يستشير ويمكر
والثالث الملعون والمقرون في ... لعن الرجيم مؤيدٌ بل أكثر
غصبوا الخلافة والرسول بداره ... ويل لهم من ثلة لم يبصروا
بصروا بلى لكنهم ظنوا بأن ... قد يطفئوا نور الإله وينصروا
خسئوا وما لإبليس أشقى منهم ... إبليس منهم في الدهاء لأصغر
حنت لأوثان الجهالة نفسهم ... واستخرجوا الحقد الدفين وأظهروا
ولدار وحي الله ظلماً أحرقوا ... باب الإله وحققوا ما اضمروا
وتقمصوها وادعوا إصلاحه ... لكن بهم شرف الخلافة يهدر
فليعلم الأنذال مهما استكبروا ... الله من كل الأكابر أكبر
هذا قريضي في جلال أئمتي ... حتماً فإني في الثناء مقصر
طيبت مدحي في أريج شذاهم ... فإذا الحروف يفوح منها العنبر
لا ما أتيت لرفعكم بقريضنا ... لقريضنا قد جئت فيهم أكبر

مرقد

السيد أحمد بن عيسى بن زيد الشهيد

نفحة علوية في البصرة الفيحاء

استطلاع وتصوير: مسلم عقيل الشاوي

باب الزهراء
قال رسول الله صلى الله عليه وآله
فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني

بإمامتهم كان نداء الدعوة لنا من الله عز وجل، وبولايتهم كمال الدين، وبمحبتهم إتمام النعمة .. فلولاهم ما رضي الله لنا الإسلام ديناً.

فهم حجة الله عز وجل علينا بهداهم نهتدي، وبأفعالهم نقتدي وإلى الله نلبي نداء يوم الحساب، فنرجو شفاعتهم. فعن صادق آل البيت عليهم السلام: (رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا وعجنوا بماء ولايتنا يحزنون لحزننا ويفرحون لفرحنا)[1].

دعونا لمشاركة أفراحهم وأحزانهم فأجبنا بصدى العواطف المتلهفة والقلوب الملتهبة حباً وعشقاً لهم عليهم السلام، هكذا دأبنا نحن شيعتهم أن تكون ألسنتنا كسيوفنا وأقلامنا تنطق دفاعاً عن حقهم الذي سلب ومناقبهم التي استعيرت وفضائلهم التي استحلت فدعونا إلى التأسي بهم ومشاركتهم المظلومية التي لحقت بهم ففاز السابقون ونسأله تعالى أن نكون اللاحقون فضريبة الولاء والوفاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله هو القتل أو التشريد. ولأولادهم كانت حصة من هذه المظلومية ونتيجة لذلك تعرضوا للقتل والاضطهاد ومنهم السيد احمد المختفي بن عيسى (رضوان الله عليه).

اسمه ونسبه

هو السيد أحمد المختفي ابن عيسى

مؤتم الأشبال[٢] بن زيد الشهيد بن الإمام علي السجاد عليه السلام. فوالده عيسى الملقب بمؤتم الأشبال كان من الطالبيين اختفى مدة وعمل سقاءً، قال عنه صاحب الأنساب المشجر: (عيسى عليه الرضوان يكنى أبو يحيى أمه أم ولد المختفي ببغداد ولد في المحرم سنة تسع ومائة مات بالكوفة وله ستون سنة، تستر نصف عمره وصلى عليه الحسن بن صالح سَراً ودفنه، خرج عيسى بن زيد مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة فلما قتل إبراهيم اختفى إلى إن مات أيام الهادي). قال ابن عنبة في عمدة الطالب: (وأما عيسى مؤتم الأشبال ...كان وصي إبراهيم قتيل باخمرى ابن عبد الله المحض وحامل رايته فلما قتل إبراهيم اختفى إلى إن مات ..). عاش بسرية تامة ولعل قصة يحيى وسؤاله لوالده الحسين ذا الدمعة في رؤية عمه عيسى وكذا كتم نسبه على امرأته وأبنته كله دليلاً على عيشه بسرية بالغة فقال ابن عنبة: (وكان ـ عيسى ـ قد حج بعض السنين في حال اختفائه وجلس إلى سفيان الثوري فسأله عن مسألة، فقال سفيان: هذه المسألة على السلطان فيها شيء ولا أقدر على الجواب عنها. فقال له بعض أصحاب عيسى إنّه ابن زيد، فقال سفيان: من يعرف هذا؟ فقام جماعة من أصحاب عيسى الحاضرين فشهدوا على أنّه عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام فنهض إليه سفيان وقبّل يديه وأجلسه مكانه وجلس بين يديه وأجابه عن سؤاله)[٣]. يقول السيد المقرم: (لم يزل مؤتم الأشبال ناقماً على بني العباس لغصبهم الخلافة من أهلها وما برح مجاهداً بذلك في محافل العامة..)[٤] وكان موضع قلق على الدولة العباسية (فكان المنصور قد بذل له الأمان وأكده، وكان شديد الخوف منه لم يأمن وثوبه عليه. فقيل لعيسى في ذلك فقال: والله لئن يبيتن ليلة واحدة خائفاً مني أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس)[٥]. وأما جده فلا يحصى فضله ولا تعد مناقبه قيل فيه إنه حليف القرآن ويكفيه في النسب إنه ابن الإمام السجاد عليه السلام فهو زيد الشهيد بن الإمام السجاد علي بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، خرج ثائراً كما خرج آباؤه ضد الظلم والجور (حتى قتلوه شرّ قتلة، وصلبوا جسده الطاهر منكوساً بسوق الكناسة سنتين أو أكثر، حتى اتخذته الفاختة وكراً، ثم أنزلوه من جذعه وأحرقوه بالنار وجعلوه في قواصر (أوعية التمر وهي من القصب) وحملوه في سفينة وذروه في الفرات)[٦]. هذا وكان أعمامه وإخوته كابآئه طالبيين ثائرين ضد الظلم والجور.

حياته ونشأته

عندما توفي عيسى بن زيد أوصى إلى الهادي بابنيه أحمد وزيد وهما طفلان فأخبرهما حاضر وهو من خلص أصحاب عيسى وجاء بهما إلى باب الهادي موسى بن محمد بن المنصور وسلمهما إليه بعدها أخبره بوفاة عيسى وعندما سمع الهادي خبر الوفاة سجد طويلاً وأمر بإحضار أحمد وزيد فأُدخلا عليه.

وذكر ابن عنبة في كتابه المخطوط الموسوم بالعمدة الكبرى ولأهميته سأدرج حياته ونشأته منه. قال ابن عنبة: (أحمد بن عيسى بن زيد ويلقب بالمختفي لأنه اختفى سنين وأمّه عاتكة بنت الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن الحارث هاشمية وهو عالم فقيه كبير زاهد مولده

سنة ثمان وخمسين ومائة. ووفاته سنة أربعين ومائتين عميَ في آخر عمره وكان أحمد بن عيسى قد بقى في دار الخلافة منذ تسلّمه الهادي بعد وفاة أبيه عيسى ولما مات الهادي كان عند الرشيد إلى أن كبر وخرج ثم اختفى، فقال شيخنا أبو نصر البخاري طلبه المتوكل فوجده في بيت ختنه بالكوفة وهو إسماعيل بن عبد الله بن عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكانت تحته أمة الله بنت أحمد بن عيسى بن زيد فوجده وقد نزل الماء في عينيه فخلّى سبيله. وحكى الشيخ أبو الفرج الأصفهاني في كتاب (الأغاني) الكبير أنه توفي إسحاق الموصلي المغني في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين ونعى إلى المتوكل فغمّه وحزن عليه وقال: ذهب صدر الأعظم من جمال الملك وبهائه وزينته. ثم نعى إليه بعد احمد بن عيسى بن زيد فقال: تكافأت الحالتان، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمن وثبته عليّ مقام الفجيعة بإسحاق فالحمد لله على ذلك. هذا كلامه. وأول ما طلعت هذه الحكاية في كتاب الأغاني كتبت على حاشية الكتاب بيتاً بذهني في الحال وهو:

يرون فتحاً مصيبات الرسول
ويغتمّون إن مات من الأقوام عواد ..)[٧].

وهكذا فإن (أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام قد توارى عن الأنظار بعد هروبه من سجن هارون العباسي، فأمر هارون بتفتيش كل دار يتهم صاحبها بالرسالية بحثاً عنه، ولكنه قد توارى في بغداد مدة ثم انتقل منها إلى أماكن عديدة ..)[٨]. وظل متخفياً منتقلاً بين البصرة وواسط والأهواز وكان لهارون العباسي محاولات عديدة لإلقاء القبض عليه لكنه لم يفلح .

وفاته وآثاره:

اختلف الرواة في تاريخ وفاته، فمنهم من ذكر إنها في سنة ٢٤٧هـ[٩] ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان كما ذكره أبو الفرج الأصفهاني، وذهب جماعة منهم السيد ابن عنبه إلى إن وفاته سنة ٢٤٠هـ. أما عن آثاره فقد ترك لنا:

١ـ كتاب الصيام: ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال[١٠] والشيخ السبحاني في الملل والنحل[١١] ويحتمل أنه كتابه في الفقه كما ذكره الفخر الرازي في الشجرة المباركة [١٢].

٢ـ الأمالي: وهو المعروف بعلوم آل محمد ذكره الشيخ السبحاني في الملل والنحل: ج٧ ،ص٣٩٠ بالقول: (وأما كتاب الأمالي فهو الذي طبع باسم (رأب الصدع) في ثلاثة أجزاء بتحقيق العلامة علي بن إسماعيل بن عبد الله المؤيد الصنعاني، وصدر عن دار النفائس ببيروت عام ١٤١٠هـ، وقال محقق الكتاب: إنه كصحيح البخاري عند أهل البيت النبوي الشريف وقد أخرج المؤلف فيه ٢٧٩٠ حديثاً عن الرسول وأئمة أهل البيت عليهم السلام...)، وتوجد نسخته في مكتبة امبروزيان، كما قال السيد الجلالي: (وكتابه الأمالي معروف بأمالي أحمد توجد نسخته في مكتبة امبروزيان)[١٣].

موضع القبر وعمارته:

يبدو أن القبر ظاهر ومعروف ومنذ زمن بعيد إذ صرح من ذكره إن قبره بالبصرة وهي إشارة إلى كونه معروفاً في ذلك الزمان. قال المجدي: (أحمد بن عيسى... المختفي بالبصرة، وقبره بها في خطة بني

كليب وعمر)[١٤]، وموضع قبره المنسوب إليه اليوم بناحية الإمام الصادق عليه السلام ناحية طلحة سابقاً ـ التابعة لقضاء المدينّة التابع لمحافظة البصرة، ويقصده الكثير للتبرك والزيارة.

ذكر لي المشرف على خدمات المرقد الشريف إنه منذ صغره ـ وهو الآن يبلغ الثمانين عاماً ـ قد رأى أجداده وآبائه يتوارثون خدمة المرقد الشريف ويقومون بإعماره وإنهم لمسوا منه كرامات عديدة خصوصاً عندما أنتشر مرض في المنطقة فما دخله أحدٌ إلا شفي، وكان المرقد صغيراً عبارة عن حجرة تعلوها قبة وقد أعيد بناؤها كما يذكر في الخمسينيات من القرن الماضي ثم أعيد بناؤها في بداية السبعينيات تقريبا في ١٩٧٢م مع بناء الإيوان وكان هذا البناء عند فتح الشارع العام إذ لم يكن هناك شارع كما هو اليوم، ثم إن هذه القبة انهارت بأكملها في شهر رمضان عام ١٩٩٨م بعد أن أكمل المصلون صلاة الظهرين جماعة، وتوفي إثر هذا الحادث رجل وثلاث نساء، هذا ويرى أهالي ناحية الإمام الصادق عليه السلام أن المقام والمرقد الطاهر للسيد أحمد بن عيسى بن زيد، ملاذا آمنا لهم وقد لمسوا منه الكرامات عند اشتداد الأهوال والحروب وخصوصا في الأزمات التي مر بها العراق خلال حربي الثمانينيات والتسعينيات.

معالم المرقد:

١ـ السور:

وهو عبارة عن مجموعة من الغرف تكّون حائطاً يحيط به من جهة الشمال

الشارع العام الرئيسي الذي يربط قضاء المدَينة بقضاء القرنة، ومن جهة الجنوب والغرب يحيط به منازل سدنة الحرم (الكوام) وأما من الشرق فمنازل آل ضريب أو آل علي المنصور.

وقد لاصقت المحلات والبسطات السور من جهة الشمال أما من الشرق فشارع مبلط بين السور والمحلات.

يبلغ محيطه ٢١٠ متر، وأما ارتفاع السور ١٠ متر تقريباً. يتكون من طابقين ارتفاع كل طابق ٤ متر، فالأول: عبارة عن صف من الأواوين الكبيرة يبلغ عددها من جهة الغرب ٧ أواوين ومثله من الشرق أما من الجنوب إيوانان ومن جهة الشمال ٤ أواوين. أما الطابق الثاني فهو كالأول شكلاً ومساحة ولا يمكنني تحديد قياساته ووصفه لأنه الآن مجرد هيكل، فهو في طور التوسعة والإعمار وستكون هذه الغرف لاستقبال الضيوف ودورات القرآن الكريم والاحتفالات وإحياء المناسبات الإسلامية وغرفة للمكتبة وكذا غرفة للأذان ومخازن المفروشات وغير ذلك من الأمور..

٢ ـ أبواب الصحن:

وتوجد في السور أربعة أبواب رئيسية أثنان بأتجاه القبلة والآخران عسكها تختلف قياساتها فأحدها ١١x٩ والثاني ١١x٧ والآخران ٩x٥.

٣ـ المئذنتان:

وتقع المئذنتان على طرفي الجهة الشمالية للسور حيث الأولى هي على يسار الداخل للصحن بنيت عام ١٩٩٦م كما هو مكتوب على المنارة، إلا أن هناك

من يقول إن هذا التاريخ هو إعادة إعمارها ولم يبين تاريخ بنائها.

أما المأذنة الثانية التي تقع على جهة اليمين للداخل إلى الصحن فهي قد بنيت حديثاً وهي الآن قيد الانجاز ولم تكتمل بعد وكلاهما بقاعدة مثمنة بارتفاع ٢٩متراً.

٤- الصحن:

ويلي السور الصحن الذي يحيط بالمشهد من جميع جهاته الأربع وأرضيته الآن تمر بمرحلة الإعمار.

٥- الرواق:

وهو محيط بالحرم من جوانبه الأربعة يبلغ طول ضلعه ٢٥ متر، في أعلاه شريط كتبت فيه سورة يس بدأت كتابتها من باب الإمام الحسين عليه السلام ونقش جدرانه المصممة على شكل القباب بالنقوش الإسلامية، كما ووضعت فيه شبابيك تطل على الصحن للتهوية وكذا للإنارة. ويخرج من الرواق أربعة أبواب كل باب بقياس ٤ x ٤ متر وهو من خشب الساج ويدعى الذي باتجاه القبلة بباب القبلة. وكتب بشريط من الكاشي الكربلائي (**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**)، ومن الشرق باب الزهراء عليها السلام وكتب في أعلاه: (باب الزهراء عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني)، ومن الغرب باب النجاة وكتب في أعلاه: (باب النجاة.. إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة)، وباب من الشمال يدعى بباب الإمام الحسين عليه السلام وتحته كتب: مرقد الإمام السيد أحمد بن عيسى بن زيد بن الإمام زين العابدين عليه السلام ثم كتبت آية الكرسي داخل شريط من الكاشي الكربلائي.

٦ ـ الحرم:

وهو مربع الشكل تقريباً يتوسطه الشباك الفضي في وسط كل من أضلاعه الأربعة يوجد باب بـ مترين ونصف x ٣ متر منها الدخول. وتبلغ مساحة الحرم الكلية مع الرواق ٤٠٠ متر مربع في حين تبلغ مساحة المرقد الكلي بحدود ٣٠٠٠ متر مربع.

٧ـ الشباك والصندوق:

٨ ـ القبة

كانت القبة سابقاً صغيرة تعلو غرفة المرقد مبينة من (الفرشي) كانوا يجلبونه من البصرة عن طريق السفن وكانوا يقومون بحرق نوع من الحجر ويعملون منه مادة الجص وبهذه الطريقة كانوا يعمرون القبة، وفي السبعينيات من القرن الماضي قاموا بإعادة توسعة للمرقد وقاموا ببناء قبة جديدة، وسقطت هذه القبة في شهر رمضان عام ١٩٩٨م وأعيد بناؤها بهذه القبة الخضراء اللون الموجودة الآن ويعلوها أسم الله وتتخللها نقوش وأسماء الله الحسنى والأئمةعليهم السلام وأسفلها شريط كتب فيه آية الكرسي■

١ـ شجرة طوبى/الحائري/ج١ص٣.

٢ـ كان عيسى بوقعة باخمرى ومعه أصحابه خرجت عليهم لبوة معها أشبالها وتعرضت للطريق فقتلها عيسى فقيل له إنك أيتمت أشبالها. فقال: أنا مؤتم الأشبال فكان أصحابه يلقبونه به.

٣ــ عمدة الطالب: ٢٦٤.
٤ــ زيد الشهيد: ١٨٥.
٥ــ عمدة الطالب: ص٢٦٣.
٦ــ تاريخ الكوفة /السيد البراقي/ ص٢٩٣.
٧ــ وذكر هذه الترجمة له أيضاً في كتابه عمدة الطالب باختلاف يسير. (انظر: عمدة الطالب ص ٢٦٦).
٨ــ التاريخ الإسلامي دروس وعبر: ص٣٤٤.
٩ــ تاريخ الإسلام للذهبي: ص١٨، المجدي في انساب الطالبيين: ص٥٣ وغيرهم.
١٠ــ ج١، ص١٢٧.
١١ــ ج٧، ص٣٨٩.
١٢ــ ص١٥٦.
١٣ــ غريب القرآن المنسوب إلى الشهيد زيد: ص٩٦.
١٤ــ أنساب الطالبيين: ص١٨٨.

واحة الأدب

التقديم والتأخير وبناء النص الأدبي

د. مرتضى عبد النبي الشاوي
كلية التربية/القرنة/جامعة البصرة

ينابيع لكل كلمة موقع معين في الجملة العربية، فالفعل سابق الفاعل والمبتدأ سابق الخبر. هذا هو الأصل، غير أنه قد يدعو داع لنقل بعض الكلمات من أماكنها فيدعي هذا النقل بالتقديم والتأخير.

ولعل فن التقديم والتأخير في أحوال الجملة وبنائها من أكثر الظواهر التركيبية بروزًا في الإفصاح عن الجهد المبذول من قبل المبدع للانحراف بالجملة عن مسار المألوف الذي لا يخرج إلى حيز المغايرة والجمال مما يعرف نقدياً بشعرية كسر النظام، أو خرقه، أو عدولاً عنه، توصلاً إلى خلق خلخلة صياغية فنية في بنية التوقع الجمالية، والتقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالاً، لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره..

حيث (يمثل التقديم والتأخير واحداً من أبرز مظاهر العدول في التركيب اللغوي، وهو يحقق غرضاً نفسياً ودلالياً ويقوم بوظيفة جمالية باعتباره ملمحاً أسلوبياً خاصاً، ويتم عن كسر العلاقة الطبيعية المألوفة بين المسند والمسند إليه في الجملة، ليضعها في سياق جديد وعلاقة متميزة)[١]، ولهذا فإن فن التقديم والتأخير كما قيل عنه بأنه: (هو باب كثير الفوائد، وجمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكانه إلى مكان)[٢]

وعلى هذا الأساس فـ (أن فن التقديم والتأخير فن رفيع يعرفه أهل البصرة بالتعبير والذين أوتوا حظاً من معرفة موقع الكلام وليس ادعاء يدعى أو كلمة تقال، وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن ـ كما في غيره ـ الذروة في وضع الكلمات الموضع الذي استحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب، ولم يكتف القرآن الكريم في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة، ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله، فنرى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة واحدة مكتملة متكاملة. إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك كل ذلك مراعى في سياق الكلام والاتساق العالم في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة)[٣].

التقديم والتأخير في نظر البيانيين:

ومن المذاهب التي استحسنها البيانيون في علة تقديم المفعول على فعله، فضلاً عن علة الاختصاص (أنه قدم من أجل المشاكلة لرؤوس الآي، ومراعاة حسن الانتظام، واتفاق إعجاز الكلم السجعية)[٤] وهو رأي الزمخشري[٥] (ت ٥٢٨هـ).

ويرجح بعض علماء البيان الأمرين كما اختاره ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، وقد تحدث عن التقديم والتأخير واصفاً إياه بأنه (باب طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة)[٦].

وينقسم الموضوع عنده إلى قسمين[٧]:

الأول: يختص بدلالة الألفاظ على

المعاني، فمنه ما يكون التقديم هو الأبلغ كالمفعول به على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ والظرف والحال من أجل الاختصاص.

الثاني: هو تقديم وتأخير، وهو الصورة الأخرى من التقديم من أجل نظم الكلام وتحسينه.

فيرى ابن الأثير أنه يقدم تارة للاختصاص وتارة لمراعاة النظم السجعي، وبهذا نجد أن ابن الأثير من أكثر البلاغيين الذين تحدثوا عن علاقة التقديم والتأخير بالسجع، وعلاقته بمراعاة نظم الكلام، إذ لم نجد من البلاغيين الذين سبقوه، من أعطى أهمية لعلاقة التقديم والتأخير بنظم الكلام وحسنه، ولعل ذلك يرجع إلى كونه يحذق فن السجع ويبزّ فيه سواه، وأنه عاش في عصر ثم لم ير فيه عيباً في السجع ولا في التزويق اللفظي في الكلام[٨].

وقد أشار أحد الباحثين إلى هذا النوع من التقديم بقوله (وابن الأثير وإن تحدث عن هذا النوع من التقديم المفيد لمراعاة نظم الكلام وتحسينه، فلا يمنع من أن يكون التقديم للاختصاص، فالتعبير القرآني قد لا يحصر التقديم لحالة واحدة، بل ربما في التقديم أكثر من فائدة، وهذا راجع إلى علو الأسلوب القرآني)[٩].

فكل تقديم ليس بمجرد الفاصلة فقط بل لرعاية الاختصاص أو العناية أو الاهتمام حيث لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سردها على المنهج الذي يقتضيه حسن النظم والقوافي فأما أن تهمل المعاني وتهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه فليس من قبيل البلاغة[١٠] حيث أن (الفواصل التي تتبع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها)[١١] وقد يأتي (التقديم والتأخير لغرض بلاغي يكسب الكلام جمالاً وتأثيراً، لأنه سبيل إلى نقل المعاني في ألفاظها إلى المخاطبين كما هي مرتبة في ذهن المتكلم حسب أهميتها عنده، فيكون الأسلوب صورة صادقة لإحساسه ومشاعره)[١٢]. وإن ابن الأثير هو واحد من الذين نهجوا بمنهج الاتجاه الأدبي[١٣] في دراسة الموضوع لاسيما من الناحية الأدبية، وقد أشار إلى ذلك أحد الباحثين بقوله: (إن ابن الأثير قد درس الموضوع بروح أدبية بعيدة عن التمحلات الفلسفية. وكانت دراسته تمتاز بوحدة الموضوع، إذ لم يكن يدرس الموضوع على صفحات مختلفة من كتابه)[١٤].

ومبحث التقديم والتأخير من المباحث الخاصة التي تبحث في أحوال الجملة، فنجده عند الذين امتازوا بالروح الأدبية واللطائف البلاغية، أمثال الزركشي[١٥] (ت ٧٩٤هـ)، وعبد القاهر الجرجاني[١٦] (ت ٤٧١هـ)، وابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ)، ويحيى بن حمزة العلوي[١٧] (ت ٧٠٩هـ). فهؤلاء من الذين فتحوا الأبواب على مصراعيها ونظروا إلى الموضوعات البلاغية من أوجه مختلفة، فكان التقديم والتأخير واحداً من تلك الموضوعات التي تبحث في أحوال الجملة.

إن من خصائص المدرسة الأدبية (أنها تستعمل المقاييس الفنية في الحكم على الأدب، وكذلك تعلل مرة ولا تستطيع التعليل مرة أخرى، وترجع الحسن والجمال إلى الذوق والإحساس الفني)[١٨]. وهي في هذا المنحى تقترب من الأسلوبية الحديثة في آلياتها (غير أن المتكلم أحياناً قد يقدم ألفاظاً ويؤخر أخرى في عبارته،

لغرض يقصد إليه إذا أراد أن يبرز فكرته في صورة خاصة، أو أن يعبر إلى جانب ذلك عن إحساسه، وأن يؤخر في نفس السامع تأثيراً خاصاً، ويمكننا أن نعرف الفرق بين التقديم والتأخير حينما يجيئان عفواً وحينما يحدثان عن قصد، وذلك بإحساسنا بأن المتكلم لم يجاوز نسق العبارة المألوف في العادة، أو أنه قد خالف ذلك النسق بحيث لا نملك إلا أن نلتفت إلى تلك المخالفة المقصودة)[١٩].

التقديم والتأخير في كلام العرب:

وهو في الشعر والنثر كثير إذ أحصي وقد لوحظ ذلك لأنّ (الشعر من أكثر فنون القول خروجاً على ترتيب الجملة المألوف، لأنه يخضع لوزن خاص لا يتحقق للشاعر في كثير من الأحيان إلا إذا وضع ألفاظه في نسق يخالف نسقها في التعبير النثري، لذلك نجد في الشعر ضروباً كثيرة من التقديم والتأخير لم يقصد بها الشاعر إلى شيء من الأغراض البلاغية التي ذكرناها، وإن أكسبت قوله مع ذلك جمالاً وقدرة على التأثير، بما يكون من ائتلاف الالفاظ في النسق الشعري من موسيقى تجعل للألفاظ ظلالاً كثيرة من المعاني ليست لها حين تجيء مفردة أو كلاماً منثوراً)[٢٠]. كقول المتنبي[٢١]:

عيد، بأي حال عدت يا عيد
بما مضى، أم لأمر منك تجديد

فقد قدم (لأمر منك) على (تجديد) لإقامة الوزن وتوحيد القافية. وأيضاً قول الأقيشر الأسدي[٢٢] في ابن عم له[٢٣]:

سريع إلى ابن العم يلطم خدّه
وليس إلى داعي الندى بسريع

فقدم المعمول (إلى داعي الندى) على العامل (سريع) لإقامة الوزن في الشعر[٢٤]، وإذا كانت القافية هي الأثر في تقديم وتأخير بعض الألفاظ في النص الشعري، فالسجع أو السجعة هي كذلك لها دور مؤثر في النص النثري فهي داعية ومؤثرة في تقديم وتأخير بعض الألفاظ من أجل تحسين النظم، ومن أمثلة التقديم والتأخير الذي تحكم به السجع في النص النثري قول الحريري: (حتى إذا لألأ الأفق ذنب السرحان، وآن انبلاج الفجر وحان)[٢٥]، فقد قدم المفعول (الأفق) وأخر الفاعل (ذنب السرحان) مراعاة للتجانس مع الفعل (حان)، وهذا دليل على إسهام (التقديم والتأخير في بناء النسق الموسيقي للجملة العربية، إذ لم يعد شغف العرب منحصراً في موسيقى الألفاظ وجمال وقعها وحلاوة نغمها، بل تعدى شغفهم واهتمامهم إلى العبارات التي تؤلف نغماً موسيقياً تطرب له الأذن وتقبل عليه النفس واتبعوا في ذلك سبلاً مختلفة وطرقاً شتى لتحقيق ما يرجونه)[٢٦]■

---

١) البنى الأسلوبية في النص الشعري ـ دراسة تطبيقية ـ :٢٣٣.
٢) دلائل الإعجاز: ١٠٦
٣) التعبير القرآني: ٥١.
٤) الطراز: ٢٣٤.
٥) ينظر: الكشاف: ٢٨/١.
٦) المثل السائر: ١٨/٢.
٧) ينظر: المثل السائر: ٢٠/١، والتقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٥١ ـ ٥٢.
٨) ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها البلاغية والنقدية: ٢٣٠.
٩) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٥٥.
١٠) ظواهر قرآنية في ضوء الدراسات اللغوية بين

القدماء والمحدثين: ٢٠٢.
١١) الإتقان في علوم القرآن: ٦٧٣.
١٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢١٧.
١٣) ينظر: المصدر السابق: ٣٤.
١٤) التقديم والتأخير في القرآن الكريم: ٥٥
١٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣٩/٢.
١٦) ينظر: دلائل الإعجاز: ١٠٦.
١٧) ينظر: الطراز: ٦٦/٢.
١٨) البحث البلاغي عند العرب:٦١.
١٩) البلاغة والنقد:٧٧ـ ٧٨.
٢٠) المصدر السابق: ٨٨.
٢١) ديوان أبي الطيب المتنبي:٤٩٣/١.
٢٢) هو أبو معرض المغيرة بن عبد الله بن معرض الأسدي شاعر هجاء من عالي الطبقة من أهل بادية الكوفة ولد في الجاهلية ونشأ في أول الإسلام لقب بالأقيشر لأنه كان أحمر الوجه أقشر كانت وفاته سنة ٨٠هـ، يعد من شعراء العصر الأموي. ينظر: خزانة الأدب: ٤٨٨/٤، ومعاهد التنصيص: ٢٤٢/٣.
٢٣) ينظر: دلائل الإعجاز:١٥٠، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٤٨٨/٤، ومعاهد التنصيص على شواهد التلخيص: ٢٤٢/٣، ومعجم الشعراء في لسان العرب: ٦٩.
٢٤) ينظر: المعاني في ضوء أساليب القرآن: ٢٣٣.
٢٥) شرح مقامات الحريري: ٩٥.
٢٦) التقديم والتأخير في القرآن ١٥٢.

من أقوال الإمام العسكري عليه السلام:

١- (لَا تُمَارِ فَيَذْهَبَ بَهَاؤُكَ ولَا تُمَازِحْ فَيُجْتَرَأَ عَلَيْكَ).

(تحف العقول، ص٤٨٦)

٢- (من رضي بدون الشرف من المجلس لم يزل الله و ملائكته يصلون عليه حتى يقوم).

(تحف العقول، ص٤٨٦)

٣- (من الذنوب التي لا تغفر: ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

٤- (الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

٥- (بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها).

(تحف العقول، ص٤٨٧)

قالوا في العلم:

❁ عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكم من أحكام الله عز وجل يقذفه في قلوب من يشاء من عباده.

(كنز العمال/ المتقي الهندي/ ج١٠ ص٢٦٢)

❁ عن كميل بن زياد قال: أخذ بيدي علي بن أبي طالب عليه السلام فأخرجني إلى ناحية الجبانة فلما أصحر تنفس ثم قال: يا كميل إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة، عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق، يا كميل العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكوا على العمل والمال تنقصه النفقة يا كميل محبة العالم دين يدان بها العلم يكسب العالم الطاعة لربه في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته وصنيعة المال تزول بزواله، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، يا كميل مات خزان الأموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة و أمثالهم في القلوب موجودة..

(كنز العمال/ المتقي الهندي/ ج١٠ ص٢٦٢)

❁ وفي رواية أبي عبد الله عليه السلام: صحبة العالم دين يدان بها باكتساب الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد موته، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، وصنيعة المال تزول بزواله.

❁ وقال عليه السلام أيضاً: يفنى المال بزوال صاحبه، مات خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة. (المناقب/ الخوارزمي/ ص٣٦٦)

واحة الأدب

التلميذ المثالي

قصة قصيرة

بنت العراق

ينابيع بقدر فرحتها بأمر تعيينها، أحزنها أنها ستباشر في مدرسة شعبية بعيدة، لقد اعتادت على مدرستها الأنموذجية التي مارست فيها التعليم لمدة عامين بعقد، إلا أن استحالة نقلها إلى مدرسة أخرى جعلها تقر بالواقع وتذهب راغمة إلى مدرستها.

وهكذا فإن اليوم الأول ضاعف إحباطها وأصابها الصداع.. فقد راعها منظر التلاميذ.. وعددهم المزدحم.. وملابسهم الملونة وشعرهم المتلبد وأكفهم الخشنة.. إحساسها بالفشل جعلها تائهة أكثر.. فاسترجعت خبرتها وشحذت إرادتها وشدت همتها.

ومن ثم قررت أن تصنع صفها الأنموذجي الخاص.. وراحت تملي على تلامذتها أوامرها الصارمة.. شعر مقصوص.. أكف نظيفة.. قميص أبيض وربطة عنقٍ حمراء وبنطال أسود أو أزرق.. بدا الأمر سهلاً إلا أنه استغرق شهراً ونصف الشهر حتى تنفذ وذلك بين الترغيب والترهيب.. كانت تصفق يومياً لمن نفذ الأوامر بينما يذهب المخالف ليواجه عصا المدير.. وأخيراً وقفت أمام تلاميذ مرتبين يرتدون قمصاناً بيضاء تنفست الصعداء.. لقد حققت

نجاحها الأول.. وفرحت كثيراً بهذا الإنجاز وهكذا راحت تتقدم ببطء في صناعة صفها.. كانت ترسم للحصول على تلامذة.. مهذبين.. مجدين.. مرتبين.. وباختصار مثاليين.

المحاسبة على التحضير اليومي.. النظافة.. النظام.. كانت تبذل جهداً فوق المعتاد ولكن ثمار هذا الجهد تستحق.. فقد راقها رؤية تلاميذها في التجمع الصباحي مرتبين يسيرون بانتظام.

لكن لا زالت هناك عقبات وعقبات ومن أسوأها كان سعد (اسم على غير مسمى) قابعاً في طريقها كصخرة لا تتزحزح.. متسخاً.. كسولاً.. منزوياً.. في ركن الصف.. مرتدياً بلوزة حمراء أكبر من حجمه.. غير آبه أبداً بأوامرها الصارمة ولا يؤذي مشاعره توبيخها، بل لقد ألفت راحته عصا المدير حتى لم يعد ذلك ينفع في شيء.

حاولت معه كل الوسائل ومارست معه مختلف الضغوط.. إلا أن تمرده الصامت تغلب على خبرتها.. وأساليبها.. كان لا يكتب الواجب.. ويدّعي أنه لا يعرف القراءة.. وعلاماته في الإملاء.. صفر دائماً!!!. فهو يعطيها الدفتر خالياً قائلاً.. لا أعرف أن أكتب !! وهكذا قضى معظم أوقاته في صفها موبخاً معاقباً.. واقفاً طوال الدرس.. كما جعله مثالاً للتلميذ المهمل.. أمام سعد تبعثرت كل ما ادخرته من خبرات.. وما حفظته من كتب علم النفس من أساليب.. استدعت أبويه أكثر من مرة دون جدوى..

متقوقعاً داخل عالمه الخاص.. جالساً بين تلامذتها.. أرهقها بسوء تصرفاته ومخالفته لتعليمها .. ولا تستطيع تركه وشأنه.. لأنه بسلوكه وإهماله يزلزل سيطرتها على الصف ويبيح للتلاميذ التمرد على سلطتها وقوانينها.

وهكذا أرهقها ضغطها عليه وتمنت لو تسبر غوره وسر عناده.. كان على قدر من الذكاء فهو ليس بليداً.. يمكنه أن يتحسن ولكنه يتصرف وكأنه يتحداها وهذا ما لا تطيقه.. وسأمت من كل ذلك ومر نصف العام، واعتادت عليه تركته في ركن منزوٍ كأنه غير موجود تجاهلته تماماً ولم تعد توبخه وانشغلت بأمور أخرى وهو بهذا ارتاح كثيراً فلم يعد يشاكس أو يظهر أي تصرف.. كان يمكن أن يكون نهاية حكمها عليه (مهمل.. فاشل.. راسب.. لا فائدة منه..) لولا مرورها في يوم وسط السوق في طريقها إلى المدرسة كانت تتحدث مع زميلتها.. ووسط الزحمة وتعالي الأصوات سمعت صوتاً مألوفاً يروج لبضاعة ما.. التفتت.. التقت عيناها بعينه أشاح بوجهه سريعاً وبان في عينيه انكسار.. دققت النظر أنه هو! (سعد) بملابس رثة يقف وسط الزحام يدفع عربه خشبية بالكاد أنامله الصغيرة تلف قبضتها. ويلقي بثقل جسمه النحيل كله لدفعه.. بقيت تتابعه بنظراتها بينما أسرع مبتعداً..

لماذا على طفل صغير أن يحمل عبء رجل بالغ.. يخالط من هم أكبر سناً.. يتعلم أشياء أكبر من عمره.. يواجه متاعب السوق والعمل وهو لا يزال طري العود.. ويتزاحم مع الكبار بحثاً عن الرزق ولقمة العيش.

وتألمت كثيراً كونها أسهمت في قتل طفولته وخنق براءته وأحزنها أنها أرادت أن تخلق طفلاً مثالياً في عالم مرير قاس فزادت حياته مرارة وظلماً..

وحز في نفسها أكثر أنها كانت تعاقبه لسوء تصرفه بينما هو لا يعرف حقاً إلا ما تعلمه في السوق وبين الكبار..

صورته بهذا الحال رافقت مخيلتها أوقاتاً طويلة.. وأدركت يومها أنها فشلت.. وإن أقرّ لها الجميع بالنجاح.

واحة الأدب

شعر التوبة والمغفرة عند صفي الدين الحلي

الباحث : حسن جميل الربيعي
جامعة الكوفة/كلية الآداب

ينابيع

صفي الدين الحلي، شاعر عصره، من شعرائنا الكبار الذين نظموا الشعر فأجادوا، وأبدعوا، مما راق للأدباء والشعراء والنقاد والشراح، فاهتموا بقصائده، وعارضوها.

اسمه : عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم السنبسي الطائي الحلي، ولد سنة ٦٧٧هـ، ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد) واشتغل بالتجارة، فكان يرحل إلى الشام ومصر وماردين وغيرها، في تجارته، ويعود إلى العراق، وانقطع مدة إلى أصحاب ماردين، فتقرب من ملوك الدولة الأرتقية، ومدحهم، وأجزلوا له عطاياهم. ورحل إلى القاهرة سنة ٧٢٦ هـ. فمدح السلطان الملك الناصر. وتوفي ببغداد سنة٧٥٠ هـ وله ديوان شعر.

وقد نظم شاعرنا الحلي في الفنون الشعرية كلها، وفي مختلف الأغراض، ولكن الذي اشتهر عنه هو خمرياته، والغزل؛ فما أن يذكر صفي الدين حتى يذكر معه شعر الغزل والشعر الخمري.

وقد يتعجب القارئ حين يسمع عن أثر ديني في شعر صفي الدين الحلي، فمن أين يأتيه الدين وهو المشهور بالخمريات، وما أشبهها.

وهذه السطور هي لإبراز جزء من الأثر الديني في شعر الحلي، ولتؤيد أن صفي الدين ليس شاعراً خمرياً ومتغزلاً فحسب؛ بل نظم في شعر العفو والتوبة من الذنوب، حتى وإن تعارضت قصائده هذه مع قصائده تلك، وفي هذا فهو يسير على نهج قدامة بن جعفر حين أعطى للشاعر الحرية المعينة فيما يريد نظمه، فقال: (وليس فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعر فيه، كما لا يعيب جودة النجارة في الخشب رداءته في ذاته)[1].

ففحش المعنى في الأول لا ينفي صدق المعنى في الثاني؛ خصوصاً إذا عرفنا أن نشأة الشاعر هي نشأة دينية، فقد (حفظ القرآن، ودرس العلوم الإسلامية من لغة،

وتفسير، وحديث، وفقه، وفلسفة، وما يستتبع ذلك من شتى المعارف)[٢].

وقد (كان الصفي مسلماً يفخر بإسلامه، ولا عجب، لقد كان آباؤه وأجداده من المدافعين عن حمى الإسلام، وممن نشروه في مختلف البلاد في الفتوحات العظيمة)[٣].

وإضافة لنسبه فقد كان للموطن الذي ولد فيه الصفي الأثر البالغ في شعره الديني، فقد (ولد الصفي في مدينة إسلامية صرفة أسسها أمراء مسلمون لا يغيرون على شيء قدر غيرتهم على الإسلام، ولا يعتزون بشيء مثل اعتزازهم بدينهم، ولا يتغلغل في أعماق نفوسهم شيء كما يتغلغل الإيمان القويم، فكانت الحلة حصناً من حصون الإسلام القوية، ومشعلاً من مشاعل العلوم الإسلامية الوقادة)[٤].

وهنا نستعرض قسماً من شعره الذي كان أقرب إلى المنهج العرفاني والصوفي ففيه يخاطب الله تعالى، ويطلب غفران ذنوبه والتوبة، فيقول[٥]: [من الطويل]

أيا رب قد عودتني منك نعمة،
أجود بها للوافدين بلا منِّ
فأقْسِمُ ما دامت عطاياك جمّةً
ونُعماك، لا خيّبتُ ذا الظنّ بالمنِّ
إذا بَخِلَتْ كفي بنعمة مُنْعِم
فقد ساء في تكرار أنَعُمه ظنّي

ففي هذا المقطع الشعري الذي نظمه الحلي في مقتبل حياته في سن الشباب نراه يخاطب الباري تعالى، يخاطبه: بأنك يا رب صاحب كل نعمة أنعمتها عليّ، وأني يا رب لا أبخل بهذه النعمة التي هي منك على أحد؛ فنرى الشاعر هنا مديناً لله تعالى بالنعم كلها، مقرّاً بالربوبية معترفاً بها.

وفي مقطوعة أخرى يخاطب شاعرُنا الله تعالى أن يغفر له زلاته[٦]: [من مجزوء الكامل]

مولاي يا مـــن رَبْعُـــهُ
لـــلائذيـن بـــه حَـــرَمْ
قـد كـــان منـــي زَلّـــةٌ،
لا عُـــذرَ عنهـا يُغْـــتَرَمْ
فلئـن نقمـتَ فما ظلـمـ
ـتَ، وإن عفوتَ فلا جَرَمْ
هبنـي أسأتُ كما زعمـ
ـتَ، فأين عفوك والكَرَمْ؟

فيعترف الشاعر بزلاته، ويعترف بأن لا عذر لديه، ويعترف باستحقاقه العقوبة، فالعقوبة حتى وإن صدرت فهي استحقاقه، ولكن الشاعر يأمل أن يعفو الله عنه، فعفو الله أكبر من كل شيء، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء، ولا أحد ييأس منها، وبالتالي فالشاعر يطالب الله تعالى بعفوه؛ وقد جاء في بعض الروايات أن الشيطان نفسه لا ييأس من رحمة الله.

ويذهب الصفي إلى مكة المكرمة، ويتشرف بالدخول إلى بيت الله الحرام، وهناك يخاطب ربه أنه لا يخاف من يحل بساحتك ويدخل بيتك فأنت الكريم، ولا يسأل العبدُ غيرَك يا رب؛ فأنت الجدير بالسؤال، أنت الذي تعفو عن المذنبين[٧]: [من المنسرح]

يا رب، إني دخلـت بيتـك والـ
ـداخـلُ بيت الكـريم في حَسَـبِه
لا يختشـي سُـخطَـهُ عليـه، ولا
يحـــذر مـن مكـــره ولا غَضَبِـــه
فكيف يرتاعُ من أناخَ بك الرحْـ
ـل، ويخشـى من سـوءِ مُنْقَلَبِه
لا يسـأل العبدُ غيرَ من هـو بالـ
ـعفـو جديـرٌ، وأنت أجـــدرُ به

ونلاحظ أنه دائماً في هذا الباب من

الشعر يكون مخاطباً اللّٰه تعالى، ذاكراً صفاته، ولعله يكون عارفاً بأساليب الدعاء، وطرق الإجابة، فقد ورد أن الإنسان إذا مدح اللّٰه تعالى في دعائه وعدد صفاته كان دعاؤه أقرب إلى القبول.

والشاعر الحلي في مقطوعاته السابقة وغيرها يذكر ذنوبه مقرّاً بها، راجياً المغفرة، والاعتراف بالذنب من آداب الدعاء الأخرى، يقول[٨]: [من المجتث]

يا رب، ذنبي عظيمُ
وأنت عني حليمُ
بل عزّني منك وعدٌ،
له الأنامُ تروم
إذ قلتَ في الذكر للمصـ
ـطفى، وأنت كريمُ
نبئ عبادي أني
أنا الغفور الرحيمُ

وهنا بعد الإقرار بالذنب يطلب العفو والمغفرة بأسلوب بلاغي رصين، وذلك باقتباسه الآية المباركة: (**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) (الحجر:٤٩)، وهذا إن دل على شيء فيدل على تضلعه ومعرفته الموسعة بالقرآن الكريم وثقافته القرآنية الواسعة التي تمكنه من الاستشهاد والاقتباس من القرآن، إضافة إلى الدلالة على قدرته الشعرية.

ويسير على منهجه الشعري في هذا الباب، في الإقرار بالذنب، وطلب العفو، بأسلوب أدبي عالٍ يتناسب مع أسلوب إسلامي في آداب الدعاء كما أسلفنا، فيقول في مقطوعة أخرى[٩]: [من المجتث]

يا رب إن كان ذنبي
خلافَ إخلاصِ قلبي
فليس ذلك إلا
لحُسنِ ظنّي بربي
ما لي إليك شفيعٌ،
إلا اعترافي بذنبي
وليس حسبي إلا
بأن عفوك حسبي

وبعد أن يتقدّم بشاعرنا العمر يستمر على روحه الإيمانيّة التي انبثقت في نفسه منذ بداية عمره، وإن كان قد أذنب في بداية عمره فهو الآن تائب يرى أن لا مفرَّ من اللّٰه إلا إليه، فيقف أمام اللّٰه تعالى مقراً بالذنوب، نادماً عليها، ذاكراً عفو اللّٰه على عباده، لعلّ هذا العفو يشمله؛ فيقول[١٠]: [من الكامل]

أمسيت ذا ضـــر وفي يدك الشـــفا
لما غدوت من الذنوب على شفا
وعلمت أن الصفـح منك مؤمـل
والعفـو مرجـو لديك لمن هفـا
فجعلت عذري الاعتراف بزلتي
إذ ما بها في طي علمك من خَفا
فإذا انتقمت فإن ذنبي موجـــب
ولئن عفوتَ فإن مثلك من عفا

ويقول في مقطع آخر[١١]: [من الكامل]

العفو منك من اعتذاري أقرب
والصفح عن زللي بحلمك أنسبُ
عذري صريح غير أني مقســم
لا قلت عـذراً غـــير أني مـذنبُ
يا مـــن نَمُتُّ إلى عـــلاه بأننـا
في طـــي نعمـــة ملكـــه نتقلـــبُ
إني لأعجب من وقوع خطيتي
ولئـــن جزيت بها فذلك أعجـبُ

وهو لم يكتفِ التوبة بنفسه بل يدعو كل الناس إلى التوبة، فنسمعه وهو يقول[١٢]: [من الخفيف]

تب وثب وادعُ ذا الجلال بصدق
تجـــد الله للدعـــاء سميعـــا
لا تخـــف مع رجـــاء ربك ذنبـاً،

إنه يغفـــر الذنـــوب جميعـــا

فهو هنا يدعو إلى أن يتوب الإنسان بصدق، ويدعو الله تعالى؛ فإن الله تعالى هو السميع الذي يستجيب دعاء من دعاه، وهو الذي يغفر الذنب ويقبل التوبة، وهنا يقتبس الشاعر اقتباساً لطيفاً من آية من آيات الذكر المبارك: (**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**) (الزمر:٥٣).

وفي النهاية يستمر في الإقرار بنعم الله عليه في عمره، من نجاته من الأشرار الذين لاحقوه إلى غيرها من النعم التي لا تعدّ ولا تحصى، ويستمرّ في طلب نعمة أخرى عارفاً أن نعم الله لا تنقطع، وهذه النعمة التي يطلبها هذه المرة هي أهمّ من كلّ النّعم، وهي أن يقيه الله تعالى عذاب النّار يوم القيامة، وهذا هو الفوز الأكبر، فيقول[١٣]: [من الخفيف]

ربِّ أنعمت في المديد من العمـ
ـرِ، ونجيتني من الأشرارِ
فاعفني اليوم من سؤال لئيم
وقني في غد عذاب النارِ

وبعد هذا الاستعراض لهذه المقاطع الشعرية الإيمانية التي تلهج بالثناء على الله تعالى، وطلب العفو والمغفرة، والإقرار بالذنوب، يتبين للقارئ الكريم أن الشاعر ليس كما عرف عنه فقط أنه شاعر غزلي خمري بل هو شاعر إيماني، وإن لكل مقام مقالاً، فهو نظم في جميع الأغراض.

ففي الحكمة قال:

صروفُ الليالي لا يدوم لها عهدُ
وأيدي المنايـــا لا يُطاق لهـــا ردُّ

وقال واصفاً أمير المؤمنين عليه السلام:

جمعت في صفاتك الأضـداد
فلهذا عزّت لك الأنـــداد
زاهـد حاكـم حليـم شـجـاع
ناسـك فاتـك فقـيـر جواد
شيـم ما جمعـن في بشـر
قِـط ولا حـاز مثلهـنّ العبـاد
إنما الله عنكم أذهب الرجـس
فردت بغيضهـا الأحقادُ
ذاك مدح الإله فيكم إن فهت
بمـدح فـذاك قـول معـاد

ولم يعب شعره الغزلي شعره هذا وإن كان أكثر منه، ولكنه قد يحمل معاني خفية يقصد بها الشاعر أشياء أخرى، إضافة إلى أن التغزل والشعر الخمري هو ما اشتهر به شعراء آخرون أمثال العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي، وبالتأكيد فإن الحبوبي لم يكن يقصد بخمرياته معنى الفحش بل هو أسلوب نهج وسار عليه، وله معانٍ أخرى قد تخفى على بعض القراء■

---

١) نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان: ص ٦٦.
٢) أعيان الشيعة، العلامة السيد محسن الأمين، حققه وأخرجه: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت: ج٨، ص ١٩.
٣) شعر صفي الدين الحلي: ص ٩٥.
٤) المصدر نفسه: ص ٩٦.
٥) ديوان صفي الدين الحلي: ص ٥١.
٦) ديوان صفي الدين الحلي: ص ٦١٤.
٧) المصدر نفسه: ص ٦٧٠.
٨) المصدر نفسه: ص ٦٧١.
٩) ديوان صفي الدين الحلي: ص ٦٧٢.
١٠) ديوان صفي الدين الحلي: ص ٦٧٢.
١١) المصدر نفسه: ص ٦١٦.
١٢) المصدر نفسه: ص ٦٧١.
١٣) ديوان صفي الدين الحلي: ٦٧١.

في الذاكرة

شهر ربيع الأول

١ خروج النبي صلى الله عليه وآله إلى غار ثور استعداداً للهجرة سنة ١٣ من البعثة.

١ مبيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش الرسول صلى الله عليه وآله سنة ١٣ من البعثة.

١ أول هجوم على دار أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة بعد دفن النبي صلى الله عليه وآله سنة ١١ هـ.

٣ رمي الكعبة بالمنجنيق حتى أُحرقت على يد الحصين بن نمير قائد جيش يزيد بن معاوية سنة ٦٤ هـ.

٤ خروج النبي صلى الله عليه وآله من الغار وهجرته إلى المدينة.

٥ وفاة السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام عام ١١٧ هـ.

٨ استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام عام ٢٦٠ هـ. وبدء إمامة الإمام صاحب الأمر الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه)، وبداية غيبته الصغرى.

٩ مقتل عمر بن سعد لعنه الله سنة ٦٧ هـ.

١٠ وفاة عبد المطلب جد الرسول صلى الله عليه وآله سنة ٣٢ قبل البعثة.

١٠ زواج النبي صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام سنة ١٥ قبل البعثة.

١٠ اغتصاب معاوية بن أبي سفيان للخلافة وأخذ البيعة من الناس، وأول ملوك بني أمية ، وذلك سنة ٤١ هـ.

١٢ وصول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إلى المدينة مهاجرًا من مكة سنة ١٣ من البعثة.

١٣ هلاك المعتصم العباسي (لعنه الله) بسرَّ من رأى سنة ٢٢٧ هـ .

١٤ هلاك يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

١٥ بناء مسجد قباء أول مسجد في الإسلام في السنة الأولى للهجرة.

١٧ مولد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في عام الفيل (٥٧٠م) سنة ٥٣ قبل الهجرة.

١٧ مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام سنة ٨٣ هـ في المدينة المنورة.

١٨ بناء المسجد النبوي في المدينة المنورة في عام الهجرة .

٢٣ وصول السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام إلى بلدة قم سنة ٢٠١ هـ .

٢٥ توقيع (هدنة) صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان على شروطٍ نَقَضَها معاوية ، وذلك سنة ٤١ هـ.

٢٥ استشهاد سعيد بن جبير رضي الله عنه على يد الحجاج بن يوسف الثقفي (لعنه الله) سنة ٩٥ هـ .

٢٥ وفاة السيد علم الهدى الشريف المرتضى رحمه الله عام ٤٢٦ هـ.

٢٧ دخول أمير المؤمنين عليه السلام المدينة المنورة بظعينة الفواطم. مهاجـرًا من مكة إلى المدينة وملتحقًا بالنبي صلى الله عليه وآله.

٢٧ معراج النبي صلى الله عليه وآله بعد البعثة بـ ٥ سنوات .

٢٧ وفاة المرجع الأعلى زعيم الطائفة آية الله العظمى السيد محسن الحكيم قدس سره عام ١٣٩٠ هـ .

٢٩ توجه أمير المؤمنين عليه السلام إلى حرب الجمل (على رواية) سنة ٣٦ هـ .

في الذاكرة

شهر ربيع الثاني

١ خروج سليمان بن صرد الخزاعي وأصحابه للثأر لدم الحسين عليه السلام، وسميت حركته بثورة التوابين والتي انتهت بمقتله ومقتل أصحابه سنة ٦٥ هـ.

٣ وفاة مرجع الشيعة في عصره الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الملقب بـ(المحقق الحلي) قدس سره صاحب كتاب (شرائع الإسلام)، عام ٦٧٦ هـ.

٦ هلاك هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥ هـ .

٨ شهادة الزهراء عليها السلام (على رواية) بعد وفاة أبيها صلى الله عليه وآله بأربعين يوما سنة ١١ هـ .

٨ مولد الإمام الحسن العسكري عليه السلام في المدينة المنورة سنة ٢٣٢ هـ.

٩ وفاة الشاعر الكبير السيد حيدر الحلي رحمه الله ، صاحب القصيدة الشهيرة التي مطلعها (الله يا حامي الشريعة) ، وذلك سنة ١٣٠٤ هـ .

٩ وفاة السيدة فاطمة (المعصومة) بنت الإمام الكاظم عليهما السلام سنة ٢٠١ هـ.

١٣ وفاة السلطان معز الدولة الديلمي رحمه الله في بغداد سنة ٣٥٦ هـ .

١٤ بدء ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي مطالبًا بدم الإمام الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأصحابه سنة ٦٦ هـ.

٢٣ وفاة السيد موسى المبرقع بن الإمام محمد الجواد عليه السلام بمدينة قم ودفن فيها سنة ٢٩٦ هـ.

٢٤ خلع معاوية بن يزيد نفسه عن الخلافة المغصوبة من أهل البيت عليهم السلام بعد أربعين يومًا من هلاك أبيه يزيد بن معاوية (لعنه الله) سنة ٦٤ هـ .

وقفة مع الذكرى

وفاة الشريف المرتضى

٢٥ ربيع الأول سنة ٤٣٦هـ

كان الشريف المرتضى أوحد أهل زمانه فضلاً وعلماً وكلاماً وحديثاً وشعراً وخطابةً وجاهاً وكرماً. ملم بفنون جمة من الثقافة الإسلامية، والمعرفة الإنسانية في عصر بلغت فيه الحضارة الإسلامية مبلغاً عظيماً من الرقي والازدهار في العلوم والفنون والآداب والفلسفة والشعر. وكان – رحمه الله – فقيه الإمامية ومتكلمها ومرجعها في ذلك العصر بعد وفاة أستاذه الجليل الفقيه المتكلم الشيخ المفيد.

اسمه ونسبه:

هو علي ابن الشريف أبي أحمد الحسين

نقيب الطالبيين وينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

أما والده:

فكان سيداً مطاعاً مهيباً حسن التدبير سخياً، مواسياً لأهله ولغيرهم.

أما والدته: فهي فاطمة بنت أبي محمد الحسن الملقب بـ (الناصر الصغير) بن أحمد بن أبي محمد الحسن الملقب بـ (الناصر الكبير).

ولد الشريف المرتضى في الجانب الغربي من بغداد (الكرخ) سنة خمس وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله العباسي.

ألقابه وكنيته:

اشتهر الشريف المرتضى بلقب السيد، والشريف، والمرتضى، وذي المجدين، وعلم الهدى. ويكنى بأبي القاسم.

شغفه بالعلم، مدرسته العلمية، خزانة كتبه

كان الشريف رحمه الله مشغوفاً بالعلم منصرفاً إليه بين دراسة وتدريس، وقد اتخذ من داره الواسعة مدرسة عظيمة لطلاب الفقه والكلام والتفسير واللغة والشعر والعلوم

الأخرى كعلم الفلك والحساب وغيره حتى سميت أو سماها دار العلم .وكانت تلم شتات كثير من طلاب العلم ومريديه من مختلف المذاهب والنحل، دون تفرقة بين ملة وملة أو مذهب ومذهب.أما شغفه بجمع الكتب وولعه باقتنائها فيكفينا أن نذكر أن خزانته ضمت ثمانين ألف مجلد من مصنفاته ومحفوظاته ومقروءاته.

دراسته وشيوخه:

تتلمذ المرتضى على كثير من علماء عصره في مختلف العلوم والفنون وكان أبرزهم الشيخ الجليل محمد بن محمد بن النعمان

الملقب بالشيخ المفيد.

تأثيره المنيع في مجتمعه:

كان ملجأً يُلجأُ إليه في المهمات من قبل الشخصيات، حتى الملوك والوزراء عندما تعروهم المحن ويحيق بهم البلاء على أثر الفتن الحادثة في ذلك العصر.

أما ما كان يصيب المرتضى من فتن العامة، فكثير جدًا حتى أحرقت داره.

أخلاقه:

ومع كل هذا فقد كان المرتضى -رحمه الله- لا يخلو من الظرافة والدعابة مع أصدقائه ومعاشريه بما لا يخرج عن حدود الحشمة ومسالك الأدب.

معاصروه وأصحابه:

كان الشريف المرتضى يتحلى بعزة النفس، وجميل الخصال، وسمو الرتبة وجليل المكانة، وأصدقاؤه كثيرون وجلهم من أهل العلم والأدب، ولا يمكننا إحصاؤهم جميعاً.

تلامذته:

كثيرون، وأغلبهم علماء أفاضل خلفوا كتباً جليلة ورسائل نافعة لا يزال قسم منها باقياً إلى اليوم. منهم: - شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.- أبو الصلاح تقي الدين بن النجم الحلبي.

مؤلفاته:

أول من فهرس مؤلفات الشريف المرتضى هو تلميذه محمد بن محمد البصروي ثم ذكر جانباً من مؤلفاته تلميذه الآخر الشيخ أبو جعفر الطوسي. وقد ناهزت المائة والعشرين مؤلف.

وفاته ومدفنه وعقبه:

توفي لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة ٤٣٦ ببغداد، وصلى عليه ابنه في داره، ودفن فيها عشية ذلك اليوم، ثم نقل بعد ذلك إلى كربلاء ودفن بجوار أجداده عند قبر أبيه وأخيه الرضي وجده إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

ونقل عنه أنه قال عند وفاته:

لَئِنْ كانَ حَظّي عَاقَني عَنْ سَعادَتي
فـَإنَّ رَجـائي واثـقٌ بِحَليـمِ
وَإنْ كُنْـتُ فِي زَادِ التَقيـَّةِ والتُـقَى
فَقِـيرًا فَقَدْ أمْسَـيْتُ ضَيْفَ كَرِيـمِ

فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا.

ديوان الوقف الشيعي
مرقد و مزار الشريف المرتضى

وقفة مع الذكرى

إعلان ثورة التوابين

في الأول من ربيع الثاني

عام ٦٥ هـ.

جاء في تاريخ الطبري: (لما قتل الحسين بن علي تلاقت الشيعة بالتلاوم والتندم، ورأت إنها قد أخطأت خطأ كبيرا بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، ومقتله إلى جانبهم ولم ينصروه. ورأوا إنه لا يغسل عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه).

مؤتمر الزعماء الخمسة

تزعم التحرك الشيعي حينئذ خمسة من كبار الزعماء الكوفيين، المتقدمين في السن الذين ارتبطوا تاريخيا بالحركة الشيعية وهم: سليمان بن صرد الخزاعي الذي أصبح قائدا لهذه الحركة، والمسيب بن نجبه الفزاري، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وائل التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي. وكانوا جميعا من أتباع الإمام علي عليه السلام ومن أشد المؤيدين له. بدأ الزعماء الخمسة يمارسون

نشاطهم في الخفاء ويبشرون بدعوتهم الانتقامية في أوساط الحزب الشيعي، بعيدا عن مراقبة السلطة وجواسيسها المنتشرين في كل مكان، وشعارهم: (**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**).

سارت الحركة في اتجاه عملي، محافظة على سريتها التامة حتى كانت سنة خمس وستين للهجرة (٦٨٤م) حيث خرجت حركة التوابين من محتواها التخطيطي وإطارها التبشيري إلى مرحلة التنفيذ الحاسم .

رأى زعماء الحركة أن قتلة الحسين موزعون في أنحاء الأرض، وليس سهلا أن تطالهم سيوف التوابين كما يتصور البعض. لذلك ارتأوا أخيرا أن تكون الشام (قاعدة الطغيان) هدف حملتهم العسكرية التي يعدون لها.. فهي مركز السلطة الأموية، المسؤولة قبل أي أحد عن قتل الإمام الحسين عليه السلام.. فانطلق التوابون حيث غادروا الكوفة ليلة الجمعة في الخامس من ربيع الثاني سنة ٦٥ للهجرة. وقد مروا بقبر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، وبعد يوم وليلة من الابتهالات والتضرع حول قبر الحسين عليه السلام مستغفرين الله وطالبين اليه أن يمنحهم نعمة الشهادة، غادروا كربلاء عبر الفرات إلى الأنبار ومنها إلى القيارة وهيت. تقدم سليمان مع رفاقه في عمق الجزيرة، وساروا في اتجاه (عين الوردة) حسب الخطة التي المرسومة لهم، تسربت معلومات إلى الجيش الأموي عن تحركات التوابين فالتقاهم في عين الوردة..

فبدأت المعركة وقد سجل التوابون في البداية انتصارات مهمة، إلا أن المعادلة تغيرت بمجيء الإمدادات للجيش الأموي، ويظهر من سير الاشتباكات الأولية أن وضع التوابين ـ برغم قلتهم العددية ـ كان معززا، ومعنوياتهم في ارتفاع دائم، أما الحماس فقد بلغ حدا لا يوصف.

لقد دخلوا حرب التكفير عن الذنب بأهداف مثالية وقلوب تطفح بالايمان، عبروا عنها إبان المعركة بتكسير أغمدة السيوف والتقدم إلى القتال بشجاعة خارقة وحماس منقطع النظير. دارت المعارك رهيبة، الأمر الذي أحدث ارتباكات في صفوف الجيش الأموي وأفقده كثيرا من عناصره المقاتلة .

حتى كان اليوم الثالث وهو الأكثر إثارة في معارك (عين الوردة) حين أطبق الجيش الأموي بكل إمكانياته على التوابين الذين أصبحوا في قلة قليلة بعد أن أفقدتهم اشتباكات اليوم السابق جزءا كبيرا من مقاتليهم. وقد وجدوا أنفسهم في هذا اليوم محاطين من كل جانب بقوات مكثفة من أعدائهم، انقضت عليهم بمنتهى العنف والشراسة.فاستشهد سليمان وجميع اتباعه، في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة ٦٥ هجري بعد خمسة أيام من نزولهم في (عين الوردة).

إضاءات السيرة

الإمام الباقر عليه السلام معدن الحلم وباقر العلم

فارس رزاق الحريزي/ كاتب وباحث إسلامي

ينابيع

عند التحدث عن إمام معصوم أول وهلة تخطر على البال ينبغي أن يفعم الحديث بالصدق والأمانة، وعلى المقترب من الصرح العظيم أن يكون على بينة من أنه الوسيلة التي يزجي بها بصائر من إصابة القول، والأسوة الحسنة لكونه اختار المقبل بإخلاص على طاعة الله، ومن تلبسه الرأفة والرحمة ثوب الإيمان الصادق، ولا ريب في ذلك لأن الإمام عليه السلام من أوصياء النبي صلى الله عليه وآله، ومن الذين يهتمون بالمعارف الإلهية ويستعظمونها، ويهدفون لبسط ورعاية النواميس الشرعية والعمل لما بعد الموت. فلو نظرنا إلى إشراقة من حياة الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام نبتدئ بالقول إنه عليه السلام مجمع الفضائل، ومنتهى المكارم، امتلأت الكتب بحديثه، وبحق كان يبقر العلم بقرًا، ففجره ونشره واستنبط أحكامه. وما وصلنا من كتب الفقه والحديث والتفسير، والأخلاق.... إلخ مستفيضة بعبق أحاديثه، ومملوءة بآرائه الصائبة ولرضا الخالق عن المخلوق جاذبة، إذ رويت عنه آلاف الأحاديث لكون الظروف مواتية بعد أن أصبحت الدولة الأموية هاوية، متهدمة الأركان وخاوية، فاستغل الظرف، واستفاد من الفرصة، ونشر ما أمكنه من المعارف الإلهية، وهو سفر كبير، وإنتاج وفير، مزق السدول (الحجاب والستر)، وأوضح المجهول، لكونه أكثر الناس عبادة،وأعظمهم زهادة، وأحسنهم سيرة، وأفضلهم سريرة، لذا ينبغي أن نستلهم من حياته الدروس والمثل الرفيعة، فقد كان طمّاحاً (يغالي في طلب المعالي) صبر على الأرزاء وحولها إلى انتصارات، وهو أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام فجدّه الإمام الحسين عليه السلام وأبوه زين العابدين عليه السلام وأمه فاطمة بنت الحسن عليه السلام التي قال عنها الإمام الصادق عليه السلام: (**كَانَتْ صِدِّيقَةً لَم تُدْرَكْ فِي آلِ الْحَسَنِ امْرَأَةٌ مِثْلُهَا**)[1].

فهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين، وفاطمي من فاطميين. ولد يوم الجمعة غرة رجب سنة ٥٧هـ وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ١١٤هـ، إذ قضى نحبه عليه السلام مسموماً. وعمره سبع وخمسون سنة. ودفن بالبقيع مع أبيه وعمه الحسن عليه السلام وقد هدم قبره مع بقية قبور الأئمة الأطهار عليهم السلام. في الثامن من شوال ١٣٤٤هـ من قبل الوهابيين .

وقد عاش بداية عمره في ظلال جده الإمام الحسين عليه السلام الذي عني بتربية حفيده، فأفرغ عليه أشعة من روحه المقدسة التي أضاءت هذا الكون، وكان كما يروي المؤرخون يجلسه في حجره، ويوسعه تقبيلاً ويقول له: (إن جدك رسول

الباقر عليه السلام

الله ﷺ يقرئك السلام)[٢].

جرت فصول مأساة وقعة كربلاء أمام الباقر، وهو في غضون الصبا، يقول عليه السلام: (قتل جدي الحسين ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت)[٣]. ثم عاش في كنف أبيه زين العابدين ٣٤ عاماً، وقد تأثر بهديه المشرق الذي يمثل هدى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والأوصياء والصالحين لذا بنى الباقر فخاراً لا تسامى شواهقه إذ صارَ بليلَ الرّيقِ تخرج كلماته في الحلم والحكمة من فيه بسهولة.

وجاء في كفاية الأثر أن السجاد قال عنه: (...وأنه الإمام أبو الأئمة، معدن الحلم، وموضع العلم، يبقره بقرًا، والله لهو أشبه الناس برسول الله ﷺ، وهذا ما أخبر به رسول الله ﷺ الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه: (إنك ستدرك رجلاً مني اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقراً)[٤]، ثم قال للإمام: (أنت خير البرية، وجدُّك سيد شباب أهل الجنة، وجدتك سيدة نساء العالمين)[٥] ولا غرو إذا تحققت مناهج في الحياة بجميع أبعادها الاعتقادية والأخلاقية والسلوكية على يد هذا الإمام الهمام عليه السلام فهو محض الحلم في محض قدرة، لا يشوبهما عجز فهو غصن من غصون الشجرة العظيمة.

ذكر بعض المؤرخين أن الإمام السجاد عليه السلام قال له: (يا بنيّ الزم بيتك)[٦] خوفاً أن تغتاله يد الغدر من أعداء أهل البيت، وهذا وارد لكونه اختاره واصطفاه الله من أهل الأرض وبوّأه هذا المكان.

الخلفاء المعاصرون للإمام عليه السلام:

١ـ الوليد بن عبد الملك
٢ـ سليمان بن عبد الملك
٣ـ عمر بن عبد العزيز
٤ـ يزيد بن عبد الملك
٥ـ هشام بن عبد الملك

كان جميع هؤلاء الخلفاء ـ باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي كان عادلاً نسبياً ويميل إلى أهل البيت ـ يسلكون الظلم والاستبداد، يلهثون وراء مصالحهم، والحفاظ على ملك الأمويين ودولتهم. واجتهادهم في ذلك نسبي فمثلاً الوليد الذي أهمل السنة والآداب والتعاليم الإسلامية، كان أثرى الأثرياء، واشترى جواري الغناء، فانتشرت مجالس اللهو والمجون.

أما سليمان فإنه أبدى ليونة في بداية عهده، وسار لاحقاً بالصلابة الجاهلة إذ تعاون مع بعض ولاته وخطط للقضاء على الآخر. أما يزيد بن عبد الملك فقد سار على خطى أخيه الوليد مثبوراً (هالكاً) واحتذى على مثاله، فأصبح الملأ لا يهتدون سبيلاً تسودهم الفتنة لذا كثر قتل الناس في زمانه. وهكذا أظهروا جميعاً أحقادهم الشريرة على الإسلام، ولم يحفظوا حقوق الأنام فأحبط الله عزّوجل سنتهم، ثم فرق بينهم وقومهم، فوقعوا بالريبة والقلق، وهجروا العفة والصواب قولاً وعملاً لكونهم اجتنبوا المشتهيات الممنوعة فأصبحوا من القانطين، ومن حرث الآخرة محرومين.

علاقة الإمام عليه السلام بعمر بن عبد العزيز:

جلس عمر بن عبد العزيز مجلساً خصّه الله عزّوجل لأهل البيت عليهم السلام وتولى زمام أمور المسلمين دون إجازتهم، فكان من الغاصبين. ونذكر قولين للإمام عليه السلام فيه:

١ـ روي عن أبي بصير قائلاً: كنت مع الباقر عليه السلام في المسجد إذ دخل عليه عمر بن عبد العزيز متكئاً على مولى له، فقال

الإمام عليه السلام ليَلِينَ هذا الغلام فيظهر العدل، ويعيش أربع سنين ثم يموت، فيبكي عليه أهل الأرض، ويلعنه أهل السماء. فقلنا: يا بن رسول الله، أليس ذكرت عدله وإنصافه؟ قال عليه السلام: يجلس مجلسنا ولا حقَّ له فيه[٧]. ومع ذلك عندما يسأله عمر بن عبد العزيز يجيبه الإمام عليه السلام بقدرةٍ خالصة لا يشوبها عجز .

٢- دخل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أبا جعفر أوصني، قال عليه السلام: أوصيك أن تتخذ صغير المسلمين ولداً، وأوسطهم أخاً، وكبيرهم أباً، فارحم ولدك، وصل أخاك، وبرّ أباك، وإذا صنعت معروفاً فربه (أدمه)[٨].

علماً أن عمر بن عبد العزيز قصد الحقّ والرفق والإحسان، وكافح الفساد، وألغى بدعة سب أمير المؤمنين عليه السلام، ورد فدك إلى أولاد فاطمة عليها السلام ومع كل الإنجازات لم يقم تأكيده من قبل المعصومين عليهم السلام لكونه جلس على مجلسهم بدون حق.

هشام وسباق الرماية:

بكل شجاعة وعنفوان حضر الإمام الباقر عليه السلام إلى الشام بعد طلبه من بَخيل قومه وأبعدهم عن الرحمة هشام بن عبد الملك، متجاهلاً أنه من الدوحة المحمدية ومن أشراف القوم الذين يملؤون العيون أبهة والصدور هيبة والمتوشح بتقوى الله والداعي إليها بالعقل والفهم وإصابة القول الذي يُجري ويسيّر الأمور بقلب منيب وبفكر غني ثر.

أجل ابتدع هشام سباق الرماية لإحراج الإمام عليه السلام، ومن ثم يستصغره الأنام. وبعد التحضيرات تهيأت الزمرة الملتفة حوله، وسأله: يا أبا جعفر، لو رميت مع أشياخ قومك الغرض. وإنما أراد منه أن يقصر ويخطئ ولا يصيب إذا رمى، فيشتفي منه بذلك، فقال عليه السلام : إني قد كبرت عن الرمي، فإن رأيت أن تعفيني .فقال : وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد صلى الله عليه وآله لا أعفيك، ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك.

فتناول الإمام قوس الشيخ، ثم تناول منه سهما فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه، ثم رمى فيه الثانية فشق فوق سهمه إلى نصله، ثم تابع الرمي حتى شق تسعة أسهم بعضها في جوف بعض، وهشام يضطرب في مجلسه، فلم يتمالك أن قال: أجدت يا أبا جعفر، وأنت أرمى العرب والعجم، كلا زعمت أنك قد كبرت عن الرمي. ثم أدركته ندامة على ما قال[٩].

موقف الإمام من الطواغيت:

بالرغم من بغض طواغيت بني أمية الجائرين وجحودهم المتواصل لأهل البيت عليهم السلام فقد وهب الله سبحانه وتعالى الإمام الباقر عليه السلام معارج يرتقي بها سنام القمة. نعم إنه كان يستغل الفرص الذهبية المناسبة ليعلن رفضه للجهاز الفاسد موظّفاً التقية بأسلوب دقيق في حفظ تلاميذه من بطش المجرمين، إذ كان يتابع النهج العلوي الثوري الجهادي حتى نال الشهادة. فقد أيد الإمام الباقر عليه السلام ثورة المختار قلباً وقالباً، وسراً وعلناً، ولما مثل ابن المختار بين يديه أشاد الإمام بثورة أبيه وقال: رحم الله أباك ما ترك لنا حقاً عند أحد إلّا طلبه[١٠]. وقال عليه السلام: لا تسبوا المختار فإنه قتل قتلتنا، وطلب ثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة[١١].

وبالنسبة لثورة أخيه زيد رضي الله عنه فكان

يؤيدها إذ كان زيد أحد أُباة الضيم البارزين في التأريخ الإسلامي خرج على الطاغية هشام وكان الباقر عليه السلام إذا دخل زيد يضع يده عليه قائلاً: (هذا سيد بني هاشم إذا دعاكم فأجيبوه، وإذا استنصركم فانصروه)[١٢].

وكذلك ساند صوت الحق المدوي لنشر فضائل أهل البيت عليهم السلام الشاعر الكميت ويقول له: (يا كميت لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك وقلت فينا)[١٣]. ويدعو له بالقول: اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر[١٤].

من روائع حكمه ووصاياه

١ـ عليكم بالورع والاجتهاد وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم براً كان أو فاجراً. فلو أن قاتل علي بن أبي طالب ائتمنني على أمانة لأديتها إليه[١٥].

٢ـ ما اغرورقت عين عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله يكفر بها بحور الخطايا، ولو أن باكيا بكى من خشية الله في أمة رحم الله تلك الأمة[١٦].

٣ـ إنّ لله عقوبات في القلوب والأبدان ضنْك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب[١٧].

٤ـ إن أسرع الخير ثوابًا البر، وإن أسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه أو يعير الناس بما لا يستطيع تركه أو يؤذي جليسه بما لا يعنيه[١٨].

٥ـ وقال عليه السلام لجابر الجعفي: يا جابر، بلِّغ شيعتي عني السلام، وأعلمهم أنه لا قرابة بيننا وبين الله عزوجل، ولا يتقرب إليه إلا بالطاعة له[١٩].

٦ـ وقال عليه السلام: إن الرجل إذا أصاب مالا من حرام لم يقبل منه حج، ولا عمرة، ولا صلة رحم، حتى إنه يفسد فيه الفرج[٢٠].

٧ـ المروءة الفقه في الدين، والصبر على النوائب، وحسن التقدير في المعيشة[٢١].

٨ـ إنَّ اللَّه قَضَى قَضَاءً حَتْماً أَلَّا يُنْعِمَ عَلَى الْعَبْدِ بِنِعْمَةٍ فَيَسْلُبَهَا إِيَّاه حَتَّى يُحْدِثَ الْعَبْدُ ذَنْباً يَسْتَحِقُّ بِذَلِكَ النِّقْمَةَ[٢٢].

٩ـ صِلَةُ الأَرْحَامِ تُزَكِّي الأَعْمَالَ وتَدْفَعُ الْبَلْوَى وتُنْمِي الأَمْوَالَ وتُنْسِئُ لَه فِي عُمُرِه وتُوَسِّعُ فِي رِزْقِه وتُحَبِّبُ فِي أَهْلِ بَيْتِه فَلْيَتَّقِ اللَّه ولْيَصِلْ رَحِمَه[٢٣].

١٠ـ وقال عليه السلام: من كذب ذهب جماله ومن ساء خلقه عذب نفسه وكثرت همومه ومن تظاهرت عليه النعمة فليكثر من الشكر ومن كثرت همومه فليكثر الاستغفار ومن ألح عليه الفقر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٢٤].

هذا غيض من فيض، وقطرة من بحر، من سيرة الإمام الباقر عليه السلام، وبما يسمح به المقام■

١ـ أصول الكافي: ج١، ص٤٦٩ .
٢ـ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٤١ .
٣ـ تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٣٢٠ .
٤ـ أصول الكافي: ج١، ص٤٦٩ .
٥ـ الدمعة الساكبة: ٤٠٣ .
٦ـ بحار الأنوار، ج٤٦، ص٢٢٥، وأصول الكافي: ج١، ص٤٧.
٧ـ الخرايج والجرايح، الراوندي ج١، ص٢٤٦.
٨ـالأمالي/إسماعيل بن القاسم القالي ج٢ ص٣١٢
٩ـ دلائل الإمامة/محمد بن جرير الطبري ص٢٣٤

١٠- بحار الأنوار: ج٤٥، ص٣٥١.
١١- المصدر نفسه.
١٢- عمدةالطالب ٢ / ١٢٧.
١٣- إعلام الورى/ج١ص٥٠٩
١٤- بحار الأنوار/ج٣٦ص٣٩١ .
١٥- تحف العقول/ص٢٩٨ .
١٦- البداية والنهاية/ابن كثيرج٩ص٣٤١ .
١٧- تحف العقول ص٢٩٦ .
١٨- روضة المتقين / ص١٦٥.
١٩- أمالي الشيخ الطوسي ص٢٩٦ .
٢٠- م.ن. ص٦٨٠ .
٢١- ترهة الناظر: الحلواني، ص١٠٩.
٢٢- أصول الكافي: ج٢، ص٢٧٣ .
٢٣- أصول الكافي: ج٢، ص١٥٢ .
٢٤- معدن الجواهر/الكراجي، ص٥٠ .

قال الإمام الباقر عليه السلام:

يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُتَّبَعُ فِيهِمْ قَوْمٌ مُرَاؤُونَ يَتَقَرَّؤُونَ ويَتَنَسَّكُونَ حُدَثَاءُ سُفَهَاءُ لَا يُوجِبُونَ أَمْراً بِمَعْرُوفٍ ولَا نَهْياً عَنْ مُنْكَرٍ إِلَّا إِذَا أَمِنُوا الضَّرَرَ يَطْلُبُونَ لأَنْفُسِهِمُ الرُّخَصَ والْمَعَاذِيرَ يَتَّبِعُونَ زَلَّاتِ الْعُلَمَاءِ وفَسَادَ عَمَلِهِمْ يُقْبِلُونَ عَلَى الصَّلَاةِ والصِّيَامِ ومَا لَا يَكْلِمُهُمْ فِي نَفْسٍ ولَا مَالٍ ولَوْ أَضَرَّتِ الصَّلَاةُ بِسَائِرِ مَا يَعْمَلُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وأَبْدَانِهِمْ لَرَفَضُوهَا كَمَا رَفَضُوا أَسْمَى الْفَرَائِضِ وأَشْرَفَهَا.

إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ، هُنَالِكَ يَتِمُّ غَضَبُ الله عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِمْ، فَيَعُمُّهُمْ بِعِقَابِه فَيُهْلَكُ الأَبْرَارُ فِي دَارِ الْفُجَّارِ والصِّغَارُ فِي دَارِ الْكِبَارِ.

إِنَّ الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ سَبِيلُ الأَنْبِيَاءِ ومِنْهَاجُ الصُّلَحَاءِ، فَرِيضَةٌ عَظِيمَةٌ بِهَا تُقَامُ الْفَرَائِضُ وتَأْمَنُ الْمَذَاهِبُ وتَحِلُّ الْمَكَاسِبُ وتُرَدُّ الْمَظَالِمُ وتُعْمَرُ الأَرْضُ ويُنْتَصَفُ مِنَ الأَعْدَاءِ ويَسْتَقِيمُ الأَمْرُ، فَأَنْكِرُوا بِقُلُوبِكُمْ والْفِظُوا بِأَلْسِنَتِكُمْ وصُكُّوا بِهَا جِبَاهَهُمْ ، ولَا تَخَافُوا فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ فَإِنِ اتَّعَظُوا وإِلَى الْحَقِّ رَجَعُوا فَلَا سَبِيلَ عَلَيْهِمْ: (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ)، هُنَالِكَ فَجَاهِدُوهُمْ بِأَبْدَانِكُمْ وأَبْغِضُوهُمْ بِقُلُوبِكُمْ غَيْرَ طَالِبِينَ سُلْطَاناً ولَا بَاغِينَ مَالاً ولَا مُرِيدِينَ بِظُلْمٍ ظَفَراً حَتَّى يَفِيئُوا إِلَى أَمْرِ الله ويَمْضُوا عَلَى طَاعَتِه.

قَالَ: وأَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إِلَى شُعَيْبٍ النَّبِيِّ عليه السلام أَنِّي مُعَذِّبٌ مِنْ قَوْمِكَ مِائَةَ أَلْفٍ أَرْبَعِينَ أَلْفاً مِنْ شِرَارِهِمْ وسِتِّينَ أَلْفاً مِنْ خِيَارِهِمْ فَقَالَ عليه السلام: يَا رَبِّ هَؤُلَاءِ الأَشْرَارُ فَمَا بَالُ الأَخْيَارِ فَأَوْحَى الله عَزَّ وجَلَّ إِلَيْه دَاهَنُوا أَهْلَ الْمَعَاصِي ولَمْ يَغْضَبُوا لِغَضَبِي.

(الكافي/ للكليني/ ج٥ص٥٥)

للفضيلة نجومها

السيد محمد جمال الهاشمي
(١٣٣٢ هـ – ١٣٩٧ هـ/ ١٩١٣– ١٩٧٧م)

حيدر كاظم الجبوري
شعبة البحوث والدراسات/العتبة العلوية

ينابيع

ربما يكون حب الاطلاع وتتبع سير الأعلام، والتنقيب عن آثارهم القيمة يجعلنا في دوامة التحفيز، والتفكير بإظهار طاقتنا والمضي قدماً في حياتنا اليومية.

ليس من السهل أن نكتب عن أشخاص لم نعاصرهم بأجسادهم وأشخاصهم، ولكن عاشرناهم وقرأناهم من خلال فكرهم الوقاد، ونتاجهم العلمي والأدبي، ومن باب الوفاء لهم، وتسليط الضوء والتعريف بعلمائنا الأعلام، وعلينا أن نقتفي أثرهم ونقتدي بهم، ونجعل من سيرهم طريق نجاحنا، كان مقالنا هذا، عن شخصية علمية أدبية فذة من شخصيات جامعة النجف الأشرف العلمية، ومن علمائها الافاضل، عرفت بالعلم والورع والصدق، هو (السيد محمد جمال الهاشمي).

الأسرة والنسب:

هو آية الله السيد محمد بن آية الله العظمى السيد جمال الدين (الكلبايكاني) بن الفقيه السيد حسين بن الفقيه السيد محمد علي بن السيد المؤمن بن الشريف علي بن السيد الجليل مسعود الموسوي، المعروف بعيشى، يرجع نسبه الشريف إلى إبراهيم المجاب بن محمد العابد بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام[1].

الولادة والنشأة:

ولد سيدنا المترجم له في النجف

الأشرف، عام (١٣٣٢هـ= ١٩١٣هـ)[٢] ونشأ في بيت ديني علمي محافظ على الشؤون الإسلامية والاصطلاحات العلمية[٣].

فهو عالمٌ، شاعرٌ لوذعي مبدع، مفسر، خطيب، مشارك في المنتديات العلمية والأدبية.

حياته العلمية:

كانت أولى دراسته في كتاتيب النجف الأشرف[٤]، ومنذ صباه دخل المدرسة العلوية الإيرانية، ثم بعد ذلك دخل في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، التي كشف عن حبه العميق لها ولمدرستها العلمية، اذ هي مسارب العلم والأدب، فتلقى فيها دروسه في الفقه والأصول، والمنطق واللغة العربية، والمعاني والبيان. عرف عن السيد الهاشمي بين أقرائه بالجد والانكباب على المطالعة والتدريس والانشغال بطلب العلم[٥]. كما انتسب إلى جمعية الرابطة الأدبية، وجمعية منتدى النشر وكان أستاذاً بمدرستها. فعندما شب عوده أعتم العمامة كما يفعل أقرانه من طلبة العلوم الدينية[٦]. وربى جيلاً من الشعراء الشباب وعنى بهم[٧].

تأثره:

يقول السيد الهاشمي: (ولقد تأثرت بشاعر العرب الأكبر المتنبي، ولبيد الشعراء السيد الرضي، وأعجبت بالمعري في فلسفته واطلاعه اللغوي، وبأبي تمام في غوره بالمعاني، وابن الفارض في تصوفه، والبحتري في أسلوبه وهؤلاء من الشرق، وابن زيدون، وابن هاني من الغرب، كما أني لا أزال معجباً بإيليا أبي ماضي، وبدوي الجبل، وبشارة الخوري، كما كنت أتأثر بأحمد شوقي من مصر، والشرقي والشبيبي والجواهري من العراق، وعندي آثار هؤلاء الشعراء وغيرهم مجاميع ثلاث

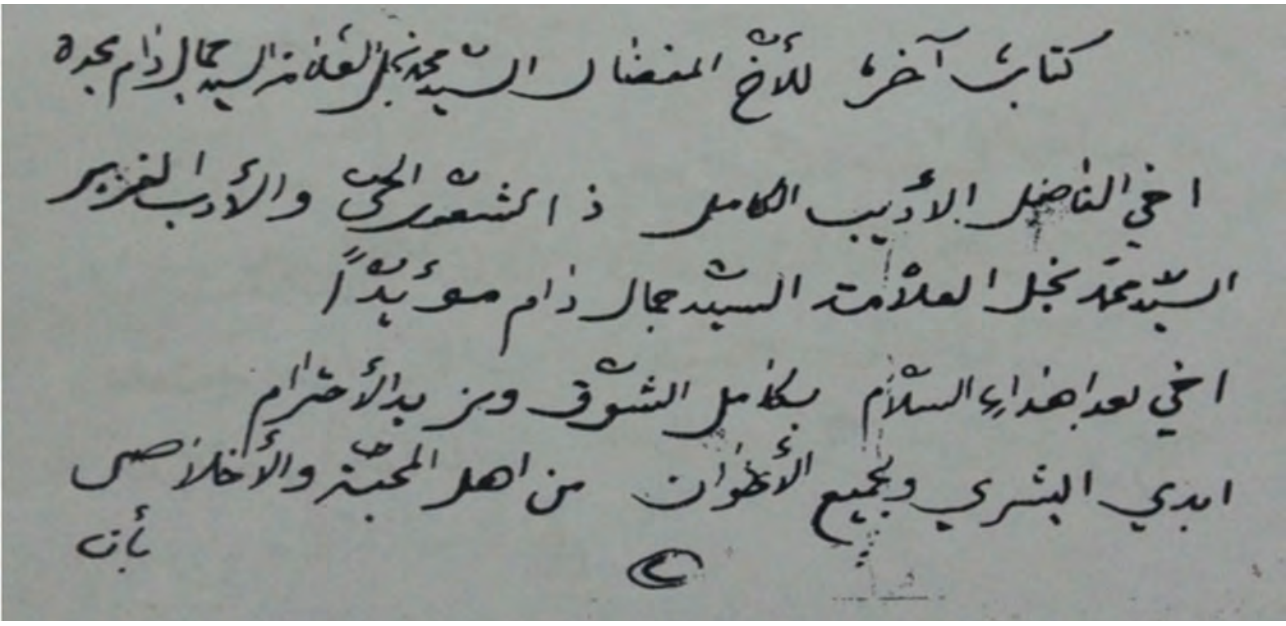
كتاب آخر للأخ المغفال السيد محمد نجل العلامة السيد جمال دام مجده
اخي الفاضل الأديب الكامل ذا الشعر الحي والأدب الغزير
السيد محمد نجل العلامة السيد جمال دام مؤيداً
اخي بعد اهداء السلام بكامل الشوق ومن بدا الاحترام
ابدي البشري وبجميع الأخوان من اهل المحبة والاخلاص
بأن

مراسلة بخط السيد مسلم الحلي إلى السيد محمد جمال الهاشمي

وربما كانت الأولى من نوعها).

إجازته في الاجتهاد:

عند حضوره بحوث الخارج العالية، لأساطين عصره، كان قلمه السيال سباقاً إلى تقريرها فقها واصولاً، مما احرز درجة الاجتهاد بجدارة عالية، فاشتهر صيته في الآفاق وسطع نجمه في دقة النظر والاستنباط في المسائل الشرعية، فأجازه أساتذته[٨] بإجازة الاجتهاد، وهم كل من:

١- الشيخ عبد الأمير البصري، في النحو والصرف.
٢- الشيخ شمس التبريزي، في المنطق.
٣- الشيخ محمد تقي الأصفهاني، في المعاني والبيان.
٤- الشيخ محمد رضا المظفر، في الأصول.
٥- الميرزا محمد العراقي، أخذ عنده الكفاية.
٦- الشيخ محمد تقي الشيخ راضي.
٧- الميرزا حسن البجنردي، أخذ عنده الرسائل.
٨- السيد موسى الجصاني، في الفقه.
٩- أغا ضياء الدين العراقي، في البحث الخارج.
١٠- السيد أبو الحسن الاصفهاني، في البحث الخارج.
١١- والده السيد جمال الدين الكلبايكاني، في البحث الخارج.

من تلامذته:

مما يؤسف له، ان الكثير ممن ترجموا لحياة السيد الهاشمي، كان عملهم مبتوراً، اذ إنّ من مطاليب التحقيق للشخصيات العلمية أن يذكروا تلاميذه، خصوصاً إن شخصية بحجم السيد الهاشمي، من غير المسّلم له أن تخلو ترجمته من عنونة التلمذة تحت منبره، وحسب جهدي وتتبعي في المصادر، وسؤالي بعض الأعلام[٩] ممن عاصره، عثرت على ثلة من الأفاضل تتلمذوا عليه، وهم على النحو الآتي:

١- العلامة الشيخ علي كوراني العاملي، حضر عنده شرح التجريد وقسماً من شرح منظومة السبزواري.
٢- العلامة الشيخ علي المرهون.
٣- العلامة الشيخ منصور البيات (١٣٢٥-١٤٢٠هـ).
٤- الاستاذ الأديب محمد حسين المحتصر.
٥- العلامة الباحث المرحوم السيد عبد العزيز السيد مسلم الحسيني الحلي (١٣٦١-١٤٢١هـ)[١٠].

عصره:

عاصر السيد الهاشمي بعض العلماء والأدباء، وبالأخص منهم فقيه عصره السيد محسن الحكيم ﷺ، كما كان المعتمد عند السيد الحكيم في المسائل الشرعية[١١]، كما عاصر طبقة عالية من الشعراء أمثال: محمد رضا الشبيبي، والشيخ علي الشرقي، والشيخ محمد علي اليعقوبي، والسيد محمود الحبوبي[١٢].

أولاده: خلف السيد الهاشمي نخبة من الفضلاء وهم كل من السادة: محمد، أحمد، علي، هاشم، حسين، محسن.

نتاجه العلمي والأدبي

رغم انشغال السيد الهاشمي في الشؤون الاجتماعية وإمامة الجماعة، أرفد المكتبة الإسلامية وزين رفوفها بكتب ومؤلفات كثيرة قيمة في موضوعات علمية وأدبية ومعرفية، تدل على نبوغه وطول باعه الفكري والمعرفي.

أ- المطبوع

١- الأدب الجديد.
٢- الإسلام في صلاته وزكاته.
٣- الزهراء عليها السلام.
٤- مشكلة الإمام الغائب وحلها.
٥- المرأة وحقوق الإنسان.
٦- أصول الدين الإسلامي.
٧- هكذا عرفت نفسي.
٨- ديوان مع النبي وآله.
٩- روائع الأمالي في فروع العلم الاجمالي: للشيخ ضياء الدين العراقي (١٣٦١هـ)، مط: الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٦٦هـ (تقديم).

ب- المخطوط[١٣]

ترك لنا العلامة السيد الهاشمي الكثير من الآثار والكتب المخطوطة التي تنتظر يد العناية التي تنتشلها من ظلمة الرفوف، لنشرها خدمة للعلم، وإتماماً للفائدة التي أتعب نفسه من أجل الفائدة والاستفادة لطلاب العلم المتلهفين لقراءتها.

١ – الأخلاق في القرآن الكريم: دراسة جديدة في الأخلاق على نهج المدرسة القديمة.
٢ – حواشي على حاشية ملا عبد الله في المنطق.
٣ – حاشية على مطول التفتازاني.
٤ – حاشية على كفاية الآخوند تقع في جزئين.
٥ – حاشية على رسائل الشيخ الأنصاري.
٦ – حاشية المكاسب.
٧ – تقريرات بحث المحقق العراقي.
٨ – تقريرات بحث والده.
٩ – رسائل في أهم المباحث الأصولية
١٠ – تفسير القرآن الكريم يبلغ عدة أجزاء لم يكمل.

١١ – الأدلة الشرعية عند الإمامية.
١٢ – أصول الفقه.

ج- البحوث والمقالات المنشورة في المجلات

لقد أتحف السيد الهاشمي الصحف والمجلات بالكثير من القصائد والمقالات الهادفة والقصص المفيدة، منها:

١- الإسلام بين أمس واليوم. مجلة (الدليل النجفية)، نشر: العتبة العلوية المقدسة مجلد٢، العدد، ٨، ص ٤٤٦- ٤٤٨.
٢- الشيخ جواد الشبيبي. مجلة (الدليل النجفية)، نشر: العتبة العلوية المقدسة، مجلد ١، العدد ٧، ص ٣٩٦- ٤٠٠.
٣- صور من القرآن (التربية وأصول علم الأخلاق). مجلة (الدليل النجفية). نشر: العتبة العلوية المقدسة، مجلد ١، العدد ٢، ص ١٠٥- ١٠٨.
٤- القرآن والإمام الصادق. مجلة (الإيمان النجفية)، م١/ع١- ٢/ س١/ ١٣٨٣هـ= ١٩٦٣م، ص ٥٤- ٦٠.

٥- من وحي العقيدة. مجلة (الإيمان النجفية)، م١/ع٢- ٣/ ١٣٨٣هـ= ١٩٦٤م، ص ١٩٥- ٢٠٠.
٦- من تفسير القرآن الكريم. (الإيمان النجفية)، م١/ع٥- ٦/ ١٣٨٣هـ= ١٩٦٤م، ص ٣٨٥- ٣٨٩/ م٢/ ع ٣- ٤/ ص ٩- ١٤/ م٢/ع٥- ٦/ ص ٩- ١٣/ م٣/ع١- ٢/ ص٩- ١٦/ م٣/ ع٣- ٤/ ص ٥- ١٠.
٧- من جمع القرآن. مجلة (الإيمان النجفية)، م١/ع٩-١٠/ ١٣٨٤هـ= ١٩٦٤م، ص ٧٤٥- ٧٥١.
٨- رسالة النجف الأشرف. مجلة (الإيمان النجفية)، م٣/ ع٧- ١٠/ ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م، ص ١٢- ٢١.
٩- النجف الأشرف ومركزها الاجتماعي، مجلة (الدليل) م٢، ٧، ٣٧١- ٣٧٢.
١٠- في المجمع الثقافي، مجلة (الدليل) م١، ٨، ٤٣٧- ٤٤١.
١١- نظرة عابرة في حياة الإمام الفقيد عن [السيد أبو الحسن الأصفهاني] م١، ٣-٤، ١٤٧- ١٤٩.
١٢- شهيد الكرامة، مجلة (النشاط الثقافي النجفية)، ع٨، س١، ١٩٥٨م/ص ٤٨٧.
١٣- من مراجع التقليد للشيعة في عصره (آية الله العظمى السيد جمال الكلبايكاني)، مجلة (الموسوم)، ع ٢٦- ٢٧، ٤٩٣- ٤٩٥.
١٤- الضحية- قصة. مجلة (الهاتف)، ع١٩٩، السنة٥، ١٩٤٩م.
١٥- الصليب- قصة. مجلة (الهاتف)، ع٤١٦، ١٩٤٦م.
١٦- من أعماق التأريخ. مجلة (البيان)، ع٣٥، ١٩٤٧م.

شاعريته ونماذج من شعره

يعتبر السيد الهاشمي، من الشعراء الأماجد المكثرين، فشعره يفيض بالرقة ويطفح بالعذوبة، والعبارات المسبوكة، ومتانة في الديباجة، ويظهر من خلال ديوانه (مع النبي) حد عشقه وولائه لأهل بيت العصمة الكرام، اذ قرأ منه الكثير في ذكرى مواليدهم ووفياتهم، ونشرته بعض المجلات والصحف. (وكانت قصيدته ((بنت الخلود)) من أهم قصائده الرائعة التي نظمها في ميلاد السيدة الزهراء عليها السلام وقد تحدث عن عظمتها وقدسيتها فضلا عن مظلوميتها،... يقول فيها:

شعّت فلا الشمس تحكيها ولا القمرُ
زهراءُ من نورها الاكوانُ تزدهرُ
بنتُ الخلود لها الأجيال خاشعةٌ
أمُ الزمان إليها تنتمي العُصُر
روحُ الحياة، فلولا لطفُ عنصرها
لم تأتلفْ بيننا الأرواح والصورُ
سمت عن الأفق، لا روح ولا ملَك
وفاقت الأرض، لا جن ولا بشرُ
مجبولة من جلال الله طينتُها
يرفُ لطفاً عليها الصون والخفر
ما عاب مفخرها التأنيث أنَّ بها
على الرجال نساءُ الأرض تفتخر
خصالها الغر جلت ان تلوك بها
منا المقاول أو تدنو لها الفكر
معنى النبوة، سرُ الوحي، قد نزلت
في بيت عصمتها الآياتُ والسور
حوت خِلال رسول الله أجمعها
لولا الرسالةُ ساوى أصله الثمر
تدرجت في مراقي الحقِّ عارجةً
لمشرق النور حيث السرُ مستتر
ثم انثنت تملأ الدنيا معارفها
تطوى القرون عياءً وهي تنتشر

* * *

قل للذي راح يُخفي فضلها حسداً
وجه الحقيقة عنا كيف ينستر
أتقرن النور بالظلماء من سفه؟
ما أنت في القول إلا كاذب أشِر
بنتُ النبيِّ الذي لولا هدايتُه
ما كان للحقِّ، لا عين ولا أثر
هي التي ورثت حقاً مفاخره
والعطر فيه الذي في الورد مدخَّر
في عيد ميلادها الأملاكُ حافلةٌ
والحور في الجنة العليا لها سمرُ
تزوجت في السماء بالمرتضى شرفاً
والشمسُ يقرُنها في الرتبة القمر
على النبوة أضفت في مراتبها
فضلُ الولاية لا تبقى ولا تذر
أم الأئمة من طوعاً لرغبتهم
يعلو القضاء بنا أو ينزل القدر
قف يا يراعي عن مدح البتول ففي
مديحها تهتف الألواحُ والزبرُ
وارجع لنستخبر التأريخ عن نبأ
قد فاجأتنا به الانباء والسير
هل أسقط القومُ ضرباً حملها فهوت
تئنُ مما بها والضلعُ منكسرُ
وهل كما قيل قادوا بعلها فعدت
وراه نادبةً والدمع منهمرُ
إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا
عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا)[١٤]

وقال أيضاً في قصيدة غراء:

أي خطب يبكي عليه خطابي
ومصاب قد شاب شهدي بصاب
آه يوم الزهراء أي فؤادي
علوي عليك غير مذاب
لك في الدهر رنة رددتها
بخشوع أجياله واكتئاب
فهي نار تذكي القرون ونور
رف لألاؤه على الأحقاب
وهي للمجد فيه للسا
لك تبدو الصعاب غير صعاب
غاب نور النبي وانقطع الوحي
وخارت عزائم الآراب
وارتمى موكب الحياة وجاشت
نزعات النفاق في الأحزاب
فانطوى النور في ظلام كثيف
نشرته جرائم الانقلاب
وانمحى الحق والصراحة لما
ساد عهد الضلال والارتياب)[١٥]

وله قصيدة (ملحمة بدر الكبرى) التي يخلد فيها معركة بدر العظمى، والتي منها:

هتفت يثرب برمز الجهاد
فتبارت فرسانها للطراد
ومشت حيث ضمها المسجد
السامي جلالا بخشعة واتئاد
ساد فيها السكون لما علا
طه نبي الهدى على الأعواد
راية الحمد ظللته فأمسى
يتهادى في ظلها الميادِ
تحتها فارس تجلل بالنور
فشعت منه الربى والبوادي
النبي الهادي الذي قاد
بالإعجاز للحق موكب الآباد
وعلي على اليمين وقد ظلله
في لوائه المتهادي
صهره وابن عمه من فداه
(ليلة الغار) فهو أعظم فادي[١٦]

وفاته

اسلم السيد محمد جمال الهاشمي روحه الطاهرة إلى بارئها، بمدينة بغداد، يوم الجمعة ١٣ربيع الأول ١٣٩٧هـ/ ٤ آذار ١٩٧٧م، ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف

الأشرف، ودُفن مع أبيه في مقبرته بوادي السلام[١٧].

وقد رثاه آية الله السيد مسلم الحلي قدس سره[١٨]

خفض صدى الناعين فيما رددوا
نعياً تقوم له النفوس وتقعدُ
من آل بيت محمد فُقد الأسى
وطغى الأسى حيث الفقيد محمدُ
إنا فقدناهُ وجوداً نافعاً
وذوو المكارم للمكارم تفقدُ
لم ننس منه مواقفاً محمودة
في الطيبات وكل خير يحمدُ
لم ننس منه تقرباً وتقلباً
في الساجدين لذا بكاهُ المسجدُ
هيهات إن وجم اللسان فهذه
حُرقَ الجوى وسط اللسان توقّدُ
بلسان ذاك الحال أفصح منهم
نطقاً يكاد لهوله يتجسدُ
وعن العبارات التي حاولتها
عبرات حزن تستهل فتنجدُ

---

١) السيد محمد علي الحلو: موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي عليه السلام: ٥٥٢.
٢) جاء في كتاب (هكذا عرفتهم) ج٧/ ص٧٣، إنه ولد عام (١٩١٦م)، وذكر الأستاذ الدكتور محمد حسين علي الصغير في كتابه (فلسطين في الشعر النجفي)، ولد في عام (١٩١٤م).
٣) السيد محمد جمال الهاشمي: ترجمته بقلمه، مجلة (آفاق نجفية)، ع٣٩، ١٤٢٦هـ= ٢٠١٥م، ص ٤٢٧.
٤) المصدر نفسه، ص ٤٢٧.
٥) جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم ٧٦.
٦) جعفر الخليلي: هكذا عرفتهم ٨٨. (بتصرف).
٧) كاظم عبود الفتلاوي: المنتخب من أعلام الفكر والأدب ٤٢٩.
٨) علي الخاقاني: شعراء الغري، ١١/ ٣.
٩) استقيت هذه المعلومة من سماحة الشيخ علي الكوراني العاملي، عبر اتصال هاتفي.
١٠) كما حدثني سيدنا الفاضل الأديب السيد أسد الله الحسيني الحلي.
١١) القزويني ٢٢/ ٤٢.
١٢) القزويني ٢٢/ ٤١.
١٣) السيد محمد علي الحلو: موسوعة أدب المحنة، ص ٥٥٣.
١٤) ديوان السيد محمد جمال الهاشمي (مع النبي صلى الله عليه وآله): ص ٣٤.
١٥) وفاة الصديقة الزهراء عليها السلام للسيد المقرم:١٤٧.
١٦) علي في الكتاب والسنة والأدب/ حسين الشاكري/ ج٥ ص١٨٨.
١٧) جودت القزويني: تأريخ القزويني، ج٢٢/ ٤٧.
١٨) جودت القزويني: تأريخ القزويني، ج٢٢/٤٨-٤٩.

للفضيلة نجومها

عمار بن ياسر يجلي الحقيقة

السيد معد البطاط – استراليا

ينابيع الصحابي الجليل ابو اليقظان عمار بن ياسر رضوان الله عليه من أوائل الصحابة الذين تشرفوا بالإسلام وبصحبة رسول اللهﷺ وعاصر بناء اللبنات الاولى لدولة الإسلام، وشاء الله أن تمتد حياته بعد وفاة النبيﷺ ليواكب أهم الأحداث السياسية التي انبثق منها الخلاف بين مؤيدي أحقية أهل البيتعليهم السلام بالخلافة وبين مؤيدي خلافة السقيفة، ثم الموقف اتجاه عثمان وأصحاب الجمل ومعاوية، وموقفه من كل تلك الأحداث، والتي من خلالها يتبين جلاء الحق والحقيقة.

عمار بن ياسر في الميزان:

أولًا: عمار في القرآن

١- قوله تعالى: (**مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) (النحل: ١٠٦) أجمع المفسرون من الفريقين على نزولها في عمار، وقال الحاكم في المستدرك: (أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبيﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول اللهﷺ قال ما وراءك قال شر يا رسول الله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف تجد قلبك قال مطمئن بالإيمان قال إن عادوا فعد. هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه)[1].

٢- قوله تعالى: (**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو**

رَحْمَةَ رَبِّه) (الزمر:٩)، قال ابن سعد في الطبقات: (عن ابن عباس في قوله: أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ... قال نزلت في عمار بن ياسر)[٢].

٣- قول الله عز وجل: **(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ)** (الاحزاب: ٢٣).

قال ابن حجر في فتح الباري في تفسير ابن أبي حاتم منهم عمار بن ياسر[٣].

٤- قال تعالى: **(أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ)** (القصص: ٦١) نزلت في عمار والوليد بن المغيرة[٤].

٥- قوله تعالى: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** (الانعام: ١٢٢).

نقل الطبري إنه عمّار بن ياسر **(كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ)** أبو جهل بن هشام[٥].

٦- قوله تعالى: **(وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** (النحل:٧٦). وقيل الأبكم أبو جهل والذي يأمر بالعدل عمار بن ياسر العنسي. قاله القرطبي[٦].

هذا ما تحدث به القرآن عن عمار المؤمن المطمئن قلبه بالإيمان الذي لم يخالطه ريب ولم يفارق الحق وإنه نافذ البصيرة طيلة عمره الشريف.

ثانيًا: عمار في الحديث الشريف

١- عن النبيﷺ: (إن عمارًا ملئ إيمانا إلى مشاشه)[٧].

٢- عن ابن مسعود مرفوعا: (عمار خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه وخلط الإيمان بلحمه ودمه يزول مع الحق حيث زال وليس ينبغي للنار أن تأكل منه شيئا)[٨].

٣- (.. . إن عمارًا مع الحق والحق معه يدور عمار مع الحق أينما دار وقاتل عمار في النار..)[٩].

٤- ((عمار بن ياسر ما عرض عليه أمران إلا اختار الأرشد منهما))[١٠].

٥- عن خالد بن الوليد قال كان بيني وبين عمار كلام فأغلظت له في القول فانطلق عمار يشكوني إلى النبيﷺ فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبيﷺ قال فجعل يغلظ له ولا يزيده إلا غلظة والنبيﷺ ساكت فبكى عمار وقال يا رسول الله ألا تراه فرفع رسول اللهﷺ راسه فقال: (من عادى عمارا فقد عاداه الله ومن أبغض عمارا أبغضه الله)[١١].

٦- (عن علقمة قال قدمت الشام فقلت: من ها هنا؟ قالوا أبو الدرداء قال أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيهﷺ حدثنا سليمان بن حرب حدثنا شعبة عن مغيرة وقال الذي أجاره الله على لسان نبيهﷺ يعنى عمارا)[١٢].

٧- (اشتاقت الجنة إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان)[١٣].

٨- (..ويح عمّار تقتله الفئة الباغية، عمّار يدعوهم إلى الله ويدعونه إلى النار)[١٤].

٩- (... واهتدوا بهدي عمار)[١٥].

بعد أن بينت النصوص السابقة أن عمارًا على بصيرة من أمره، وأنه عميق الإيمان، وقد أجاره الله من الشيطان وأن له نوراً يمشي به؛ ولهذا فهو دائماً وأبداً باق مع الحق لا يفارقه، ثم يأتي الحديث ليأمر المسلمين أن يهتدوا بهديه ويعرفوا

مرقد الصحابي عمار بن ياسر في الرقة – سوريا

الحق من خلاله، وقد وجدنا هذا الأمر جلياً في تعامل الكثير من الصحابة مع عمار وإليك بعض الأمثلة.

٣ـ شهادة الصحابة في عمار

١- لما قتل عثمان بن عفان أتى حذيفة فقيل له يا أبا عبدالله قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس فما تقول قال: (أسندوني فأسندوه إلى ظهر رجل فقال سمعت رسول اللهﷺ يقول أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم)[١٦]. وقال رواه البزار والطبراني في الأوسط باختصار ورجالهما ثقاة.

٢- وجاء في كنز العمال حديث أكثر تفصيلا حينما سألوا حذيفة قال: (الزموا عمارا قيل له إن عمارا لا يفارق عليا قال، إن الحسد هو أهلك للجسد، وإنما ينفركم من عمار قربه من علي فو الله لعلي أفضل من عمار أبعد ما بين التراب والسحاب وإن عمارا من الأخيار)[١٧]. وكان حذيفة عالماً بالفتن والأحداث، وقد علمه النبيﷺ هذه الحقيقة في عمار، وأنه لا يفارق الحق أبدا.

٣- جاء رجل إلى ابن مسعود فقال إن الله قد أمننا من أن يظلمنا ولم يؤمنا من أن يفتننا أرأيت إن أدركت فتنة قال عليك بكتاب الله قال أرأيت إن كان كلهم يدعو إلى كتاب الله قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق)[١٨].

٤- (عن حبة العرني قال دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن فقال دوروا مع كتاب الله حيثما دار وانظروا الفئة التي فيها ابن سمية فاتبعوها فإنه يدور مع كتاب الله حيثما دار.. .)[١٩] وقال هذا حديث صحيح عال ولم يخرجاه.

٥- (عن عائشة أنها قالت ما من أحد من اصحاب رسول ﷺ إلا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمارا فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ملئ إيمانا إلى مشاشه)[٢٠]، وقال الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح.

٦- (عن أبى عبد الرحمن السلمى قال شهدنا مع علي رضى الله عنه صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد ﷺ يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمارا يقول يومئذ لهاشم بن عقبة يا هاشم تقدم الجنة تحت الأبارقة اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه..)[٢١].

٧- وفي تاريخ الطبري: قال أبو يزيد المديني: قال عمار بن ياسر لعائشة حين فرغ القوم: (يا أم المؤمنين ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليك. قالت أبو اليقظان قال نعم قالت والله إنك ما علمت قوال بالحق قال الحمد لله الذي قضى لي على لسانك)[٢٢].

بعد أن عرضنا قسما من الآيات والروايات واقوال الصحابة والتي يشد بعضها بعضا وهي تثبت حقيقة لا مرية فيها من أن هذا الصحابي الجليل مع الحق لا يفارقه نأتي إلى مواقفه في أهم الأحداث التي مرت على الأمة الإسلامية والتي فرقتها طرائق قددا لنميز الحق ونهتدي بهدي الصحابي الجليل عمار بن ياسر.

موقف عمار من السقيفة

لا يسع هذا المقال كل ما نريد قوله مما رواه عمار في فضل أمير المؤمنين عليه السلام على لسان النبي ﷺ أو صحبته له في حله وترحاله، ودعوته لعلي عليه السلام ولكن نذكر إشارات يتبين من خلالها أن عماراً مع هذه الجلالة يقف جنديا تابعا وداعيا بما له من قوة لعلي عليه السلام مما يثبت أن الحق معه مع أن عماراً أكبر من علي عليه السلام بعشرات السنين.

بعد وفاة النبي ﷺ ومنع كتابة الكتاب والجدل الذي حدث في السقيفة على مسك زمام الأمور بعد النبي ﷺ بين أبي بكر وعمر واتباعهما من جهة وبين الأنصار من جهة أخرى كان النصر لأبي بكر وعمر لأسباب ليس هذا محلها وبايع القوم أبا بكر، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام وجمع من الصحابة لم يبايعوا واعتزلوا هذه البيعة، وكان عمار معهم غاضبا ومستنكرا على هؤلاء، ويرى أن الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام.

قال ابن حبان: ((... واستقام له الأمر ـ أبو بكر ـ بعد رسول الله ﷺ وبايعه الناس ورضوا به وسموه خليفة رسول الله ﷺ إلا شرذمة مع علي بن أبي طالب تخلفوا عن بيعته))[٢٣].

وقال الطبري: ((أتى عمر بيت علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين فقال والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة...))[٢٤].

قال ابو جعفر الطبري: ((وتخلف عن بيعة أبي بكر يومئذ سعد بن عبادة في طائفة من الخزرج وعلي بن أبي طالب وابناه والعباس عم رسول الله ﷺ وبنوه في بني هاشم والزبير وطلحة وسلمان وعمار وأبو ذر والمقداد وغيرهم من المهاجرين وخالد بن سعيد بن العاص..))[٢٥].

عمار وما تبقى من الأحداث

نشير بإشارة عابرة إلى ذلك ومن أراد التوسع عليه بمراجعة كتب التاريخ:

بعد أحداث السقيفة كانت الخلافة بيد رجلين: أبي بكر وعمر، وإن كان أبو بكر هو الحاكم ـ آنذاك ـ ولكن عمر شريكه في

القيادة، وقد أوصى له بالخلافة من بعده، ونالها بعده ولكن عمر بعد أن طعن جعلها شورى بين ستة من الصحابة، وكان عمار يدعو بجهده إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويأمر الناس بمبايعته[٢٦].

وبعد أن استلم عثمان زمام الأمور وبدأ بإقصاء الصلحاء وحمل بني أمية بني أبيه الفسقة على رقاب الناس كان عمار من الثائرين على عثمان حتى أمر عثمان بوطئه فأصابه الفتق والإغماء ومن ثم لم يهدأ له بال حتى كان من قاد الثورة ضد عثمان إلى أن قتله الثائرون، وكان عمار من أشد الناس عليه[٢٧].

وبعد قتل عثمان كان من قادة جيش الإمام فتوجه معه وهو يقود الخيالة في وقعة الجمل قال ابن قتيبة: (وعلى جميع الخيل عمار بن ياسر)[٢٨] وبعد أن علم الزبير بوجود عمار في جيش الإمام قال يا جدع أنفاه أو يا قطع ظهراه وأخذته رعشه كونه يعلم أن عماراً لا يفارق الحق[٢٩]، وبعد تلك المعركة يتوجه الإمام عليه السلام إلى مقاتلة القاسطين والذي كان عمار من أشد المقاتلين، حتى نال الشهادة وبانت الفئة الباغية للجميع باستشهاده.

وبهذا نكون قد توصلنا إلى حقيقة ساطعة تبين الحق والباطل فكل موطن وقف معه عمار هو الحق وما ناوأه باطل. فسلام عليك يا أبا اليقظان يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً■

---

١) مستدرك الحاكم ٣٥٧/٢.
٢) طبقات ابن سعد ٢٥/٣.
٣) فتح الباري ٣٩٨/٨.
٤) ينظر: أسباب النزول / الواحدي ٢٢٩، والجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ٣٠٣/١٣.
٥) جامع البيان/ الطبري ٣٠/٨.
٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤٩/١٠.
٧) سنن ابن ماجة ٥٢/١.
٨) فيض القدير ٤٧٣/٤-٤٧٤.
٩) الطبقات الكبرى ٢٦٢/٣.
١٠) مسند أحمد بن حنبل ٣٨٩/١.
١١) المستدرك على الصحيحين ٣٩١/٣.
١٢) صحيح البخاري ٩٤/٤.
١٣) المستدرك على الصحيحين ج٣ ص١٣٧.
١٤) صحيح البخاري ٢٠٧/٣.
١٥) سنن الترمذي ٣٣٣/٥.
١٦) مجمع الزوائد ٢٩٥/٩.
١٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٥٦/٤٣.
١٨) سير أعلام النبلاء ٤١٦/١.
١٩) المستدرك على الصحيحين ٣٩١/٣.
٢٠) مجمع الزوائد ٢٩٥/٩.
٢١) الاستيعاب ٢٧٣/٣.
٢٢) تاريخ الطبري ٥٤٨/٣.
٢٣) الثقات ١٦١/٢.
٢٤) تاريخ الطبري ٤٤٣/٢.
٢٥) الرياض النظرة ٢/ ٢١٤.
٢٦) يراجع على سبيل المثال تاريخ الطبري ٢٩٧/٣.
٢٧) يراجع الغدير ١٥/٩ وما بعدها.
٢٨) الإمامة والسياسة ١١٦.
٢٩) يراجع تاريخ الطبري ٥٢١/٣.

في النفس والمجتمع

الأعياد عند الأمم والديانات وعند المسلمين

الباحث:ساجد صباح العسكري
كلية العلوم الإسلامية – جامعة كربلاء

ينابيع

واحدة من مميزات كل أمة وكل ديانة أعيادها الخاصة بها، والأعياد قديمة بقدم تلك الحضارات والأديان مع اختلاف تلك الأيام في الزمان والسبب الذي جُعل من أجله العيد، إلا أن أكثرها تشترك في كونها تعود إلى أسباب مادية كانتصار على عدو أو يوم تتويج ملك أو الحصول على مكاسب مادية كالتجارة، حتى أن بعض الأعياد كانت خاصة بأفراد أو مجموعة قليلة في منطقة معينة. وما يغلب عليها هو إطلاق العنان للغرائز والشهوات. إلا أن العيد في الإسلام له معانٍ خاصة مختلفة ـ كما سيمر علينا ـ .

العيد في اللغة:

قال الخليل: (والعيد كل يوم مجمع، من عاد يعود إليه ويقال بل سمي لأنهم اعتادوه والياء في العيد أصلها الواو قلبت لكسرة العين)[١].

وقال ابن الأعرابي: (سمي عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح متجدد)[٢].

وقال الأزهري: (والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن)[٣].

وجاء في لسان العرب: (العيد ما يعتاده من الحزن والشوق)[٤].

فالعيد مصدر على وزن فعيل مشتق من (العود) أي الرجوع والتكرار ولعل اختصاصه فيما اجتمع عليه الناس من فرح أو خير بسبب غلبة الاستعمال المشهور، وإلا فهو معنى عام يطلق على كل رجوع وتكرار.

العيد في الاستعمال القرآني :

جاء العيد في القرآن الكريم بلفظه الخاص في سورة المائدة على المعنى اللغوي وهو العود ولكن معنى مخصوص لا مطلق العود، بل هو العود إلى الله المقرون بالفوز والهناء والإيمان بالله.

قال تعالى: (**قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**) (المائدة: ١١٤)، (ولما

كان يوم نزول المائدة يوم العودة إلى الفوز والطهارة والإيمان بالله فقد سماه المسيح عيداً)[٥].

وجاء ذكر عيد خاص في القرآن الكريم وهو عيد الفراعنة والذي يسمونه يوم الزينة، قال تعالى: (**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى**) (طه:٥٩).

وجاء ذكر مطلق العيد عند كل أمة من دون تحديد ولكن ليس بلفظه بل عبر عنه بـ (المنسك) على ما فسره البعض قال تعالى: (**وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ**) (الحج:٣٤).

وقال تعالى في موضع آخر من نفس السورة: (**لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ**)(الحج: ٦٧)، فقد روي عن ابن عباس أن المقصود بالمنسك هو العيد[٦].

أهم الأعياد عند الأمم والشعوب والديانات

أولاً: أعياد الأمم والشعوب القديمة:

أعياد الفراعنة:

عيد شم النسيم: وهو لتقديس بعض الأيام تفاؤلاً أو تزلفاً لمن يعبدون من دون الله تعالى ويرتكبون فيه أشد المحرمات ضناً منهم أنه يوم أُبيحت فيه جميع الخبائث[٧].

أعياد اليونان:

وأعيادهم كثيرة حتى أنه لا يخلو شهر من الشهور من عيد عدا شهر (ممكتريون)[٨]،ومن أهم أعيادهم عيد الأولمبياد أو عيد الأولمبي والذي ينعقد كل أربع سنوات وكان الأولمبياد الأول عام (٧٧٦ ق.م) وهو من أكبر أعيادهم

وتجمعاتهم الموسمية[٩].

أعياد الرومان:

أكثر الأمم أعياداً وتبلغ أعيادهم في السنة أكثر من مائة ومن أشهر أعيادهم:

١) **عيد الحب:** يحتفلون في يوم (١٤) شباط من كل سنة تعبيراً عما يعتقدونه في دينهم الوثني عن الحب الإلهي وهذا العيد قبل ما يزيد بـ (١٧٠٠) عام حيث كانت الوثنية سائدة[١٠].

٢)**عيد الزوجين:** يحتفل الزوجان في ذكرى زواجهما من كل عام لتأكيد المحبه بينهما[١١].

أعياد الفرس:

١)**عيد النيروز:** وهو أعظم الأعياد عندهم ويمثل بداية السنة الشمسية ومعنى النيروز الجديد ومدته ستة أيام[١٢].

٢)**عيد المهرجان:** وكلمة مهرجان مركبه من (المهر) ومعناه الوفاء (جان) السلطان ومعنى الكلمة: سلطان الوفاء وأصل هذا العيد احتفال بالاعتدال الخريفي ومدته ستة أيام[١٣].

أعياد العرب في الجاهلية:

كان للعرب أعياد كثيرة يحتفلون في أيام انتصاراتهم ومسراتهم ويختلف باختلاف القبائل، وكان أكثر الأماكن احتفالاً هي أماكن موضع آلهتهم، وأهم أعيادهم يوم السبع والسباسب وغيرها[١٤].

ثانياً: أعياد الديانات.

الصابئة:

ولهم أعياد عديدة منها:

١)**العيد الكبير:** وهو عيد ملك الأنوار يعتكفون في بيوتهم ستاً وثلاثين ساعة لا تغمض لهم عين خشية أن يتطرق إليهم الشيطان ومدته أربعة أيام.

٢)**العيد الصغير:** يوم واحد وقد يمتد ثلاثة أيام من أجل التزاور.

٣)**عيد البنجة:** وهو خمسة أيام في كل سنة كبيسة وفيه تعميد.

٤)**عيد يحيى**عليه السلام: وهو يوم واحد من أقدس الأيام ويكون بعد عيد البنجة بستين يوماً ويزعمون أنه اليوم الذي ولد فيه يحيى عليه السلام[١٥].

أهم أعياد اليهود:

١) **عيد رأس السنة العبرية:** ويسمونه عيد (هيشا) وهو أول يوم تشرين الأول ويزعمون أنه يوم فُدي فيه (الذبيح) إسحاق عليه السلام حسب معتقدهم الخاطئ.

٢)**عيد الفطير:** وهو عيد الفصح يوم (١٥نيسان) وهو بمناسبة هروب بني إسرائيل من الاستعباد في مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

٣)**عيد الأسابيع:** ويزعمون أنه اليوم الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام.

٤)**عيد صوماريا:** وهو عندهم يوم الغفران.

٥)**عيد اليوبيل:** وهو المنصوص عليه في سفر اللاويين[١٦].

أهم أعياد النصارى:

١)**عيد القيامة** ويسمى عيد الفصح، وهو أهم أعياد النصارى السنوية.

٢)**عيد ميلاد المسيح**عليه السلام: ويسمى عيد الكريسمس وهو يوم (٢٥ كانون أول).

٣)**عيد رأس السنة الميلادية:** يوم ١ كانون الثاني .

٤)عيد الغفران وهو يماثل اليوبيل عند اليهود[١٧].

وفي الديانات الوضعية الكثير من الأعياد الأيزيدية والزرادشتية والكنفونسيوشية ...الخ.. أعرضنا عن ذكرها طلباً للاختصار ولمن أراد معرفتها فليراجع كتاب أضواء

على الأديان في العالم لمحمود الدين.

ثالثاً: أعياد المسلمين وأهميتها:

معنى العيد عند المسلمين:

الأعياد في الإسلام تختلف عن الأعياد في الديانات الأخرى وفي الأمم السابقة؛ لأن الأساس في العيد مكافأة لعمل ديني معين، بينما الملاحظ على أكثر الأعياد عند غير المسلمين ارتباطها بأمر دنيوي كتنصيب ملك أو انتصار على عدو أو بداية موسم زراعي أو حصول الشخص على مكسب دنيوي ... إلخ.

فجاء عيد الفطر بعد ما قام به العبد من طاعة خلال شهر رمضان المبارك من صيام وقيام، وجاء عيد الأضحى بعد الأعمال التي يقوم بها الحجاج في مناسك الحج، وجاء عيد الغدير بعد العهد والبيعة للإمام علي عليه السلام وإكمال الدين وإتمام النعمة ، وجاء يوم الجمعة بعد أعمال عبادية يقوم بها العبد في ليلة الجمعة ونهارها.

فكل عيدٍ يرتبط بعملٍ ديني، ويأتي العيد كجائزة لما قدمه العبد من طاعات، يقول صاحب تفسير الأمثل: (فبعد شهر من طاعة الله في صوم رمضان أو بعد أداء فريضة الحج العظيمة ، يعود إلى النفس طهرها وصفاؤها الأوليان الفطريان ويزول التلوث عن الفطرة فيكون العيد)[١٨].

فالعيد هو العود إلى الله سبحانه؛ لأن العيد يمثل الوصول إلى الهدف الحقيقي، وهو نيل رضا الله سبحانه، باعتبار أن المؤمن يمر بتربية ومعاناة قبل العيد من خلال ما يؤديه من طاعات، لذا اختصر الإمام علي عليه السلام معنى العيد بقوله: (إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد)[١٩].

فالمعنى الدقيق للعيد خاص بأولئك الذين تنازلوا عن شيء من رغبات الجسد ليحصلوا على سعادة الروح، وليس العيد كما يفهمه البعض هو مجرد الفرح والابتهاج وما يرافق ذلك من أمور محرمة كالاختلاط والتساهل في المحرمات وإباحتها، وهذا ما يحصل للأسف وبكثرة، بل العيد باب من أبواب طاعة الله سبحانه.

روى الكليني في الكافي بسنده مرفوعًا عن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: (نَظَرَ إِلَى النَّاسِ فِي يَوْمِ فِطْرٍ يَلْعَبُونَ وَيَضْحَكُونَ فَقَالَ لأَصْحَابِهِ وَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ شَهْرَ رَمَضَانَ مِضْمَاراً لِخَلْقِهِ لِيَسْتَبِقُوا فِيهِ بِطَاعَتِهِ إِلَى رِضْوَانِهِ فَسَبَقَ فِيهِ قَوْمٌ فَفَازُوا وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ فَخَابُوا، فَالْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِنَ الضَّاحِكِ اللَّاعِبِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يُثَابُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ وَيَخِيبُ فِيهِ الْمُقَصِّرُونَ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ بِإِحْسَانِهِ وَمُسِيءٌ بِإِسَاءَتِهِ)[٢٠].

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الناس يوم الفطر، فقال: أيها الناس، إن يومكم هذا يوم يثاب فيه المحسنون، ويخسر فيه المسيئون، وهو أشبه يوم بيوم قيامتكم، فاذكروا بخروجكم من منازلكم إلى مصلاكم خروجكم من الأجداث إلى ربكم، واذكروا بوقوفكم في مصلاكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة أو النار، واعلموا - عباد الله - أن أدنى ما للصائمين والصائمات أن يناديهم ملك في آخر يوم من شهر رمضان: أبشروا عباد الله، فقد غفر لكم ما سلف من ذنوبكم، فانظروا

كيف تكونون فيما تستأنفون)[٢١].

وفي العيد أعمال وآداب كثيرة ينبغي للمسلم استثمار تلك المناسبات للحصول على الجوائز والهبات الإلهية.

أعياد المسلمين

١)عيد الغدير: عيد الله الأكبر، يوم إكمال الدين وإتمام النعمة وفيه رضي الله الإسلام ديناً للبشر بتنصيب الإمام علي عليه السلام للولاية والخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ويصادف في الثامن عشر من شهر ذي الحجة بعد عودة الرسول صلى الله عليه وآله من حجة هي الأولى والأخيرة، وفي مفترق طرق الحجيج بلغ ما نزل إليه من ربه: (**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) (المائدة: ٦٧).

روى الصدوق بسنده عن الإمام الصادق، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم غدير خم أفضل أعياد أمتي، وهو اليوم الذي أمرني الله تعالى ذكره فيه بنصب أخي علي بن أبي طالب علمًا لأمتي يهتدون به من بعدي، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين، وأتم على أمتي فيه النعمة، ورضي لهم الإسلام دينا)[٢٢].

٢)عيد الفطر المبارك: وهو اليوم الأول من شهر شوال، روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن أنس بن مالك قال: (قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية، فقال إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم بهما خيرًا منهما يوم الفطر ويوم النحر)[٢٣].

٣)عيد الأضحى: وهو اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، روي عن الرسول صلى الله عليه وآله: (أُمرت بيوم الأضحى عيدًا جعله الله عز وجل لهذه الأمة)[٢٤].

٤) يوم الجمعة من كل أسبوع: روى الصدوق بسنده عن المفضل بن عمر قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم للمسلمين من عيد ؟ فقال: أربعة أعياد، قال: قلت: قد عرفت العيدين والجمعة، فقال لي: أعظمها وأشرفها يوم الثامن عشر من ذي الحجة...)[٢٥]■

---

١) العين، الفراهيدي: ٢/٢١٩.
٢) لسان العرب: ٣/ ٣١٩.
٣) المصدر السابق.
٤) المصدر السابق: ٣١٨.
٥) تفسير الأمثل: ٤/ ١١٩.
٦) تفسير الثعلبي: ٧/١١٩.
٧) المصدر السابق: ٢١.
٨) قصة الحضارة، ديورانت: ٦/ ٣٦١.
٩) ينظر أعياد الكفار: ٢٢-٢٣.
١٠) المصدر السابق: ٣٧.
١١) المصدر السابق.
١٢) موسوعة المذاهب والأديان المعاصرة: ٢/ ٦٣٢.
١٣) ينظر أعياد الكفار: ٤٦.
١٤) ينظر مجلة المنار: مجلد ٢، العدد٧ .
١٥) موسوعة المذاهب والأديان المعاصرة :٢/٧٢٩ .
١٦) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، د. العسيري: ٥/ ٢٦٠- ٢٧٦
١٧) ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: ٥٩٥ وما بعدها.
١٨) تفسير الأمثل: ٤/ ١١٩.
١٩) نهج البلاغة: ٤/ ١٠٠.
٢٠) الكافي/للكليني/ج٤ص١٨١.
٢١) الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٦٠.
٢٢) المصدر السابق: ١٨٨.
٢٣) مسند أحمد: ٣/ ١٠٣.
٢٤) سنن أبي داود: ١/ ٦٣٧.
٢٥) الخصال: الصدوق: ٢٦٤.

في الرزق :

❁ قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه: أتدري لم رزقت الأحمق؟. قال: لا يا رب. قال: ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال.

❁ ❁ ❁

قال أحد الشعراء:

ولا تجـزع إذا أعسـرت يومـاً ... فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تظنـن بربـك ظـن سـوء ... فـإن الله أولـى بالجـميـل
وإن العسـر يتبعـه يسـار ... وقـول الله أصـدق كـل قيـل
فلـو أن العقـول تسـوق رزقاً ... لكـان المال عند ذوي العقـول

(المستطرف/ الأبشيهي/ ح١ ص٣١)

❁ ❁ ❁

❁ دخل علي عليه السلام المسجد، وقال لرجل : أمسك عليَّ بغلتي ، فخلع لجامها ، وذهب به ، فخرج علي عليه السلام بعد ما قضى صلاته، وبيده درهمان ليدفعهما إليه مكافأة له ، فوجد البغلة عطلا ، فدفع إلى أحد غلمانه الدرهمين، ليشترى بهما لجاما ، فصادف الغلام اللجام المسروق في السوق ، قد باعه الرجل بدرهمين، فأخذه بالدرهمين وعاد إلى مولاه ، فقال علي عليه السلام: (إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ، ولا يزاد على ما قدر له.).

(شرح النهج/ ابن أبي الحديد/ ج٣ص١٦٠)

في النفس والمجتمع

حرمة الأعراض في الإسلام

بقلم: حسين علي ثامر الكعبي

ينابيع

من المعروف لدينا جميعاً أن المجتمع الإسلامي مجتمع قائم على الحب والمودّة والإخاء، وقائم كذلك على الاحترام والتقدير والتبجيل المتبادل لا فرق في هذا بين القوي والضعيف والغني والفقير، فالكل سواسية كأسنان المشط، وهم كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**) (الحجرات:١٣).

والإسلام في هذه العلاقات يقدس عرض الإنسان، فعرض الإنسان محرم في الإسلام كحرمة الدم، وكحرمة المال، قال النبي صلى الله عليه وآله: (أيها الناس، إن دماءكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم)[1].

فلا يجوز لأحد أن يعتدي على عرض أحد أو على سمعته أو على سيرته لأن هذا الاعتداء يعد خروجاً على هذه المبادئ الأساسية في المجتمع الإسلامي الذي ينبغي أن يكون دائماً على مظهر من الحب والمودة والإخاء، ومن هنا فإن الإسلام يتابع أولئك الذين يخرجون عن هذه المبادئ وبخاصة فيما يتصل بعرض الإنسان، نرى هذه المتابعة وهذا التحذير من الخروج عن هذه المبادئ فيما جاء في قوله تعالى تهديداً أو وعيداً لأولئك الذي يشيعون الأقاويل حول عرض الإنسان، يقول عزّ وجل: (**وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ* الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ* يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ* كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ* نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ* الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ* إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ* فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ*) (سورة الهمزة).

إن الإسلام يحرص ـ كما أسلفنا ـ تمام

الحرص على سمعة الإنسان، لكن هناك فريقاً من الناس يسعده دائماً أن يتحدث عن الآخرين، وأن يهتك حرمة الآخرين. وأن يتقول على الآخرين. لأهداف يريد أن يصل إليها ـ غالباً ـ من وراء هذا الإشاعات التي تتناول أعراض الناس، وقد يكون من وراء هذه الأهداف أن يصل المتقول إلى مكان الذي يتقول عليه أو يريد أن يأخذ ما يحتله من منصب أو من وظيفة فيسيء إليه بمثل هذه الأقاويل أو تلك حتى يصل إلى نيل المكان الذي هو فيه.

والإسلام يحذر كل التحذير من ذلك، وينبه إلى أن فلاح المؤمنين إنما يكون بالبعد عن مثل هذا اللغو. يقول الله عزّ وجل: (**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**) (المؤمنون: ١، ٢، ٣) كما يقول سبحانه وتعالى في صفات عباد الرحمن: (**وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**) (الفرقان: ٧٢). ويقول عزّ من قائل: (**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**) (النور: ٧).

ومما ورد في السنة المطهرة من أن الساب للناس يموت شر ميتة، قال الإمام الباقر عليه السلام: (ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات شر ميتة، وكان حقاً ألا يرجع إلى خير)[٢]. وكذلك روي من أن الله حرم الجنة على بذيء اللسان[٣]. وجاء أيضاً في الرواية من الإمام الصادق عليه السلام أن الذي يروي رواية على مؤمن يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان[٤].

إن الإسلام عندما يبين لنا أن فلاح المؤمنين في البعد عن هذا اللغو، وأن فلاحهم يكون عندما يبتعدون عن إشاعة

الفاحشة على الناس فإنما يهدف من وراء ذلك إلى تكوين المجتمع الذي لا يقضي وقته من الحديث ومن الأقاويل، إنما يهدف من وراء ذلك إلى أن يكون المجتمع مجتمعاً جاداً بعيداً عن هذا المستوى من العلاقات التي تشبع بين الناس جواً من العداء ومن البغضاء ومن الاستعلاء والكبرياء، لأن الذين يعيبون غيرهم من الناس يعدون أنفسهم في مكان أعلى وأحسن، وهذا النوع من الناس يستحق المقت والغضب من الله رب العالمين. ولقد جاءت الإشارة إلى ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: (**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**) (لقمان: ١٨).

فإذا التزم المسلمون جميعاً بمثل هذه المبادئ السامية في علاقة بعضهم ببعض وبخاصة في هذه العلاقات التي يحافظ فيها الإنسان على عرض أخيه الإنسان ولا يتقول عليه أبداً، إذا حافظ الجميع على ذلك فإن المجتمع الإسلامي يغدو ـ مجتمعاً قوياً متماسكاً مترابطاً لا يشعر فيه أحد بأنه يعتدى عليه في سمعته وسيرته ويكون في مكان المحتقر في هذا المجتمع.

والإسلام يعلمنا أنه: (بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم) إن المسلمين عندما يلتزمون في ذلك جميعاً يكونون آمنين على أنفسهم وعلى أموالهم وعلى أعراضهم دون أن يكونوا مهددين من أصحاب الأقوال الباطلة بأي تهديد، أو بأي تقول يعد فيه إساءة لسمعتهم أو لسيرتهم أو لمكانتهم في المجتمع، والله عزّ وجل يقول: (**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) (الأحزاب: ٥٨).

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان كما ينماث الملح في الماء)[٥].كما نبه الإسلام الحنيف على أمور في هذا المجال من أهمها:

أولاً: الحذر من مجالسة أهل التهمة والمتقولين على الناس. قال النبي محمد صلى الله عليه وآله: (أولى الناس بالتهمة من جالس أهل التهمة)[٦].

ثانياً: أن لا يعرض المسلم نفسه للتهمة فيكون غرضاً للمتقولين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من عرض نفسه للتهمة فلا يلومنّ إلا نفسه)[٧].

ثالثاً: أن يحيط الإنسان نفسه بسياج من الحذر والتنبه، قال الإمام الكاظم عليه السلام: (إذا كان الجور أغلب من الحق لم يحل لأحد أن يظن بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه)[٨].

إن المسلمين الذين يحافظون على ذلك يكونون قريبين من الله عزّ وجل ويكونون على مستوى عظيم من العلاقات الإنسانية الحميمة التي تجعل المسلمين متقاربين لا متباعدين، ومتحابين لا متباغضين، ومتعاونين على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان■

---

١) تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، ص٣٠
٢) الذنوب الكبيرة، عبد الحسين دستغيب، ج٢، ص٣١ .
٣) الكافي، ج٢، ص٢٤٣، باب البذاء
٤) الذنوب الكبيرة، ج٢، ص٣٠٧ .
٥) الكافي/ ج٢، ص٣٦١ .
٦) بحار الأنوار/ ج٧٥، ص٩٠ .
٧) قصار الجمل/ الشيخ المشكيني.
٨) وسائل الشيعة/ ج١٣، ص٢٣٣ .

في الغنى واليأس من الناس:

* وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصني قال: (عليك باليأس مما في أيدي الناس وإياك والطمع فإنه فقر حاضر).

* قال عمر بن أبي عمر اليوناني:

غلا السعر في بغداد من بعد رخصة وأني في الحالين بالله واثق
فلست أخاف الضيق والله واسع غناه ولا الحرمان والله رازق

* وقال القهستاني:

غني بلا دنيا عن الخلق كلهم وأن الغنى الأعلى عن الشيء لا به

* وقال منصور الفقيه:

الموت أسهل عندي بين القنا والأسنة
والخيل تجري سراعاً مقطعات الأعنة
من أن يكون لنذل علي فضل ومنه

* وأنشد أعرابي:

أبا مالك لا تسأل الناس والتمس بكفيك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لأوشكوا إذا قيل هاتوا أن يملوا ويمنعوا

* وقيل: إذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديقك.

* وقيل لأعرابية: من أين معاشكم. قالت: لو لم نعش إلا من حيث نعلم لم نعش.

* وقال أعرابي: أحسن الأحوال حال يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك.

(م.ن/ ص١٣٣)

طروحات عامة

الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله والقرآن

أ.م.د خليل خلف بشير
كلية الآداب/ جامعة البصرة

ينابيع

أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وآله قرآناً عربياً مبيّناً (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) (فصلت:٤٢)، وقد أعجز به البلغاء وأخرس الفصحاء وأفحمهم وتحداهم فيه، وقد كان هذا الكتاب ومازال معجزة كبيرة لما أبدع من ثورة علمية وثقافية في ظلمات الجاهلية الجهلاء، ولعل ما قدّمه الرسول صلى الله عليه وآله من عطاء مقروء أو مسموع من قرآن كريم وسنة مطهرة فإن العطاءين يشتركان بأنهما من فيض السماء فهما وحي الله على قلبه الذي لم ينطق عن الهوى[1]. قال تعالى (**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**) (النجم:٢-١٢).

وقد أجمع الدارسون على أن معجزات الرسول صلى الله عليه وآله قسمان هما[2]:

١- ما كان محدوداً ومختصاً بزمان حياته، وهو ما نقله المؤرخون وأرباب السير من معجزاته الكثيرة.

٢- ما كان باقياً على مر الدهور والأيام، وهو القرآن الخالد على مر الدهور والأيام، ولا تناله يد البلى والدثور بل هو باق ما دبت على الأرض دابة أو دعا لله داع، وهو الذي فاق على سائر معجزاته.

وإذا كان خصوم الإسلام قد دهشوا لروعة القرآن فإن النبي صلى الله عليه وآله كان أشد الناس

تأثراً بمنطقه، وكان يتلوه تلاوة تظهر معانيه ظهوراً رائعاً أخّاذاً فضلاً عن كونه دائم التفكير في بيان القرآن المعجز الذي نزل على قلبه، وكان يزن كل آية بميزان دقيق بحيث تنكشف له عن دلالات عميقة لا يلمحها سواه لذلك كان دائم الخشوع غزير الدمع حين يتلو القرآن وحين يسمعه[٣]، وكان في حله وترحاله وقيامه وقعوده يفكر في القرآن ويستحضر آياته في كل موقف يمر به، قال الإمام الصادق عليه السلام: كان رسول الله ﷺ إذا قرأ هذه الآية (**مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) (يونس: ٦١) بكى بكاء شديداً[٤].

ومما ورد في سيرته العطرة ﷺ أنه كان متأثراً بالقرآن بصورة عجيبة، وأنه كان للقرآن الأثر البالغ في روحه الطاهرة. روى ابن عباس أنّ أبا بكر قال: يا رسول الله، أسرع إليك الشيب، فقال: ((شيّبتني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمّ يتساءلون))[٥].

وأنه كان يفتخر بأن الله تعالى أعطاه ما لم يعطه نبياً من أنبيائه، ومن تلك العطايا القرآن الكريم فقد خُصّ من بين الأنبياء والمرسلين بالقرآن الكريم إكراماً له فهو القائل: (أعطيت خمسًا لم يعطهن نبي كان قبلي: أرسلت إلى الأبيض والأسود والأحمر، وجعلت لي الأرض مسجدًا ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم،

ولم تحل لاحد أو قال لنبي قبلي، وأعطيت جوامع الكلم، قال عطا: فسألت أبا جعفر عليه السلام قلت: ما جوامع الكلم؟ قال: القرآن...)[٦] فإذا كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله يباهي ويفاخر بالقرآن فإن أمته الإسلامية تفتخر بذلك فكما إن الله قد خصّ محمداً صلى الله عليه وآله بالقرآن فقد خصّ أمته بذلك من بين الأمم فهم أمة مختارة قد اختارها الله تعالى وأنزل لها القرآن الكريم.

ويُذكر في سيرته العطرة أنه كان يهتم بقراءة سور خاصة من القرآن في كل ليلة فعن جابر قال (كان النبي صلى الله عليه وآله لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك)[٧].

وكان أيضاً يتلو آيات القرآن الحكيم على الناس، وقد صرّح بذلك القرآن بقوله (**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**)(آل عمران: ١٦٤)، وقوله (**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**) (الجمعة: ٢) فقد كان واسطة الفيض الإلهي بين الله والناس فهو أول من يأخذ الوحي ثم يتلوه للناس ويعرفهم معانيه على أنه كان يستقرئ أصحابه ويأمرهم أن يقرؤوا عليه القرآن، وما ذلك إلا لأنّ قلبه كان متعلقاً به فكان يحبّ استماعه، ومن أحبّ شيئاً أحبّ ذكره[٨] إذ يروى أنه صلى الله عليه وآله قال لابن مسعود: (اقرأ، فقال: يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل؟ فقال: (إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري، فكان يقرأ ورسول الله صلى الله عليه وآله عيناه تفيضان)[٩].

ولما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لابن مسعود: (اقرأ عليّ، قال: ففتحت سورة النساء فلما بلغت (**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**) (النساء:٤١) رأيت عيناه تذرفان من الدمع، فقال لي: حسبك الآن)[١٠].

وقد خصّه الله في كتابه العزيز بالكثير من الخصائص منها بأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهذا مستفاد من قوله تعالى: (**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**) (الأحزاب:٦). قال الشريف المرتضى: (وإنما أراد تعالى أنه أحق بتدبيرهم وتصريفهم، وأن طاعته عليهم واجبة، فقال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه)[١١]، وهي حجة قالها يوم الغدير عندما أمره الله تعالى بتنصيب الإمام علي عليه السلام أميراً للمؤمنين فقال لهم: (أولست أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)[١٢].

فضلاً عن ذلك فقد خصه بكونه رحمةً للعالمين في قوله تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) (الأنبياء: ١٠٧) إذ إنه بعث رحمة للبر والفاجر ورحمة للكفار بتأخير العذاب وعدم معاجلتهم بالعقوبة بنحو الخسف والمسخ والغرق كسائر الأمم المكذبة وأن الله تعالى لم يخاطبه باسمه كما خاطب غيره من الأنبياء عليهم السلام بل خاطبه بـ (يا أيها النبي، ويا أيها الرسول، ويا أيها المدثر، ويا أيها المزمل، وغيرها)[١٣] وخاطب الأنبياء بأسمائهم بقوله (يا آدم، ويا نوح، ويا إبراهيم، ويا داود، ويا زكريا، ويا يحيى، ويا عيسى[١٤]، وغيرهم)[١٥].

ويدلّ ذلك على أن سياق النبي صلى الله عليه وآله في

القرآن الكريم سياق متعدد ومتنوع في ذاته بحسب التعبير القرآني بين التهدئة والتثبيت، واللوم والعتاب، والتقريع والتهديد أيضاً[١٦]، وأمثلة ذلك وقوله: **(طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى)** (طه:٢،١)، وقوله: **(يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً)** (المزمل:٢،١)، وقوله: **(يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنذِرْ)** (المدثر: ١-٢)، وقوله: **(وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ)** (الحاقة: ٤٤-٤٥)، وقوله: **(فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ)** (الحجر:٩٤)، وقوله: **(يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)** (المائدة:٦٧)، والملاحظ في هذه الآيات هيمنة سياق الأمر؛ لأن مهمة النبيﷺ تبليغ الأوامر الإلهية إلى الناس قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)** (الأحزاب:٤٥)، وقال أيضاً (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً)(الفتح:٨)؛ ولتعظيم الله حبيبه المصطفى وتبجيله إياه وتخصيصه عن سواه من الأنبياء لم يناده بـ (يا محمد) في حين نادى الأنبياء بأسمائهم[١٧] بقوله مثلاً: **(وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)** (البقرة: ٣٥)، وقوله: **(يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ)** (هود:٤٨)، وقوله: **(يَا إِبْرَاهِيمُ، قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)** (الصافات:١٠٤-١٠٥)، وقوله: **(يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)** (آل عمران:٥٥).

وكانﷺ طوال مدة رسالته يحثّ أسرته وسائر المسلمين على تلاوة القرآن، ويشوقهم إلى ذلك فلم يمنعه عن تلاوته شيء سوى الجنابة كما يروي ذلك أمير المؤمنينعليه السلام في قوله: (كان رسول اللهﷺ لا يحجزه عن قراءة القرآن إلا الجنابة)[١٨]، واستمر على هذا النهج القويم حتى في اللحظات الأخيرة من عمره الشريف عندما كان مشرفاً على الموت إذ يروى أن أمير المؤمنينعليه السلام حاضر عنده، (فلما قرب خروج نفسه قال له: (ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك وامسح بها وجهك، ثم وجهني إلى القبلة وتول أمري، وصل علي أول الناس، ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي، واستعن بالله تعالى) فأخذ عليعليه السلام رأسه فوضعه في حجره، فأغمي عليه، فأكبت فاطمةعليها السلام تنظر في وجهه وتندبه وتبكي وتقول:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأرامل[١٩]

ففتح رسول اللهﷺ عينه وقال بصوت ضئيل: يا بنية هذا قول عمك أبي طالب لا تقوليه، ولكن قولي: **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ)** (آل عمران:١٤٤) فبكت طويلا. ..)[٢٠].

إذ يتبين من الرواية السابقة أنه أمر ابنته الحبيبة السيدة فاطمة الزهراءعليها السلام بالعدول عن الشعر إلى قراءة القرآن بالرغم من أن الشعر لعمه شيخ البطحاء أبي طالب قد قاله في مدحهﷺ■

---

١) ينظر: أعلام الهداية – محمد المصطفى (خاتم الأنبياء) ١/٢١٤-٢١٨.
٢) ينظر: العترة والقرآن/ الشيخ علي الكريمي الجهرمي ٣٦.
٣) ينظر: البيان النبوي/ د.محمد رجب البيومي ٢٧٧-٢٧٨.

٤) مجمع البيان/ الشيخ الطبرسي ٢٠٣/٥.
٥) الخصال/الشيخ الصدوق/ص٢٠٠.
٦) بحار الأنوار/ المجلسي ١٤/٨٩.
٧) السنن الكبرى/ النسائي ١٧٨/٦.
٨) ينظر: العترة والقرآن ٣٨.
٩) المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء / الفيض الكاشاني ٢٣٢/٢.
١٠) بحار الأنوار٢٩٤/٦.
١١) رسائل الشريف المرتضى/ الشريف المرتضى ٢٥٣/٣.
١٢) المواقف/ الإيجي ٦١٥/٣.
١٣) ينظر في يا أيها النبي (الأنفال/٦٤، و٦٥ و٧٠والتوبة/٧٣ والأحزاب/١و٢٨و٤٥و٥٩، ٥٠، والحجرات/٢، والممتحنة /١٢، الطلاق/١)، ويا أيها الرسول (المائدة/٤١، و٦٧)، ويا أيها المدثر (المدثر/١)، ويا أيها المزمل (المزمل/١).
١٤) ينظر في: يا آدم (البقرة/٣٥، والأعراف/١٩)، ويا نوح (هود/٣٢و٤٦و٤٨والشعراء/١١٦)، ويا إبراهيم (هود/٧٦ومريم/٤٦، والأنبياء/٦٢ والصافات/١٠٤-١٠٥)، ويا داود (ص/٢٦)، ويا زكريا (مريم/٧)، ويا يحيى (مريم/١٢)، ويا عيسى (آل عمران/٥٥، والمائدة/١١٠و١١٢.
١٥) ينظر: السيرة الحلبية / الحلبي ٣٨٢/٣.
١٦) ينظر: النص والسلطة والحقيقة-إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة /د.نصر حامد أبو زيد١٠٣.
١٧) يُنظر: البرهان في علوم القرآن/ الزركشي ٢٢٨/٢.
١٨) بحار الأنوار ٦٨/٧٨.
١٩) الدرة الغراء في شعر شيخ البطحاء (ديوان ابي طالب) ١٢٥.
٢٠) بحار الأنوار ٤٧٠/٢٢.

من أقوال الإمام الباقر عليه السلام:

ـ سرقوا أكرم آية في كتاب الله : (بسم الله الرّحمن الرّحيم).
ـ المروّة أن لا تطمع فتذلّ ، ولا تسأل فتقلّ ، ولا تبخل فتشتم ، ولا تجهل فتخصم .
ـ إنما يُبتلى المؤمن في الدنيا على قدر دينه.
ـ نية المرء أفضل من عمله ، وذلك لأنه ينوي من الخير ما لا يدركه .
ـ ما من شيء أحب إلى الله من أن يُسأل.
ـ إذا قُطعت الأرحام ، جعلت الأموال في أيدي الأشرار.
ـ من صبر واسترجع ، وحمد الله عند المصيبة ، فقد رضي بما صنع الله ، ووقع أجره على الله ، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم ، وأحبط الله أجره .
ـ لا عِلمَ كَطَلَبِ السَّلامَةِ ، ولا سَلامَةَ كَسَلامَةِ القَلبِ.
ـ من توكل على الله لا يُغلب.
ـ أيّما مؤمن نفَّس عن مؤمن كُربه وهو مُعسِر ، سهّل الله له حوائجه في الدّنيا والآخرة .
ـ لا يكون العبد مؤمنًا حتى يعرف الله ورسوله والأئمة كلهم وإمام زمانه ويرد إليه ويسلم له.

طروحات عامة

ثنائية العلم والعمل عند أصحاب الأئمة عليهم السلام

د. علي عبد الزهرة الفحام

ينابيع

من العلامات المشرقة في حياة أصحاب الأئمة عليهم السلام أنهم كانوا يأكلون من كدِّ أيديهم، ويكدحون في طلب الرزق، ولا يستنكفون من العمل في حرفة أو مهنة أو تجارة، فهم إلى جانب علمهم الغزير، وروايتهم للحديث، وتصنيفهم للكتب والأصول، واشتغالهم بدعوة الناس وهدايتهم، ورحلتهم في طلب العلم وتلقي الرواية، لم يكونوا يتكلون على غيرهم في طلب الرزق، والإنفاق على أنفسهم وعيالهم، بل كانوا يعملون في التجارة، والحرف المختلفة، اهتداءً بسنة الرسل والأنبياء، وعملاً بسيرة أئمتهم المعصومين عليهم السلام.

ويظهر من النصوص والروايات أن الأئمة عليهم السلام كانوا يحثون أصحابهم على العمل إلى جانب التفقه، وعلى طلب الرزق إلى جانب طلب العلم، فمن ذلك قول الصادق عليه السلام لمولاه المعلى بن خنيس رضي الله عنه، وكان بزازاً، له دكان صغير في المدينة المنورة يرتزق منه، وقد كان الإمام الصادق عليه السلام يحثه على العمل وطلب الرزق، ومن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق عن المُعلّى بن خُنَيس أنه قال: رآني أبو عبد الله عليه السلام وقد تأخرت عن السوق، فقال لي: (اغْدُ إِلَى عِزِّكَ)[1]، وكان عليه السلام يقول لأصحابه: (إِنَّ اللَّه تَعَالَى يُحِبُّ الْمُؤْمِنَ الْمُحْتَرِفَ)[2]، أي صاحب الحرفة، وهي المهنة أو الصناعة، وفي حديث الأربعمائة لأمير المؤمنين عليه السلام: (تَعَرَّضُوا لِلتِّجَارَةِ فَإِنَّ فِيهَا غِنًى لَكُمْ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَإِنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُحْتَرِفَ الْأَمِينَ)[3].

إن من المفيد للباحث أن يسلط الضوء على جملة المهن والحرف والتجارات التي

كان يرتزق منها الرواة والمحدثون من أصحاب الائمة عليهم السلام؛ فإن هذه الإضاءات ستكشف لنا بعض الزوايا الخفية من حياة أولئك الرجال المخلصين، وربما يساعدنا أيضاً في فهم وتوجيه مرويات الراوي تبعاً لطبيعة العمل، وطبيعة الظروف الاجتماعية التي كانت محيطة به، وفي ما يأتي استعراض لأهم الحرف والأعمال التي ذكرها أصحاب السير والتراجم أو وردت في النصوص والأسانيد:

أولاً: بيع السابُري

هو نوع من الثياب، وهي من الاعمال الرائجة في تلك الأعصار، قال الزبيدي: (والسابُري: ثوب رقيق جيد والسابري: درع دقيقة النسج في إحكام صنعة، منسوبة إلى الملك سابور. وسابور ذو الأكتاف: ملك العجم، معرب شاه بور، معناه ابن السلطان. وسابور: كورة بفارس، مدينتها نوبندجان)[٤]، ومن أشهر الرواة الذين اشتهروا ببيعها: صفوان بن يحيى وعبد الرحمن بن الحجاج (وهما من الوكلاء والثقات الأجلاء)، ومعاوية بن عمار الدهني، وزياد بن عيسى الكوفي، وحذيفة بن منصور بن كثير وابنه الحسن، وعمر بن يزيد، والعلاء بن كامل، وعبد الرحمن بن سيابة، وحماد بن أبي طلحة وأخوه محمد[٥].

ثانياً: بيع الهروي

وهي الثياب المصنوعة في مدينة (هَراة)، وهي مدينة مشهورة في خراسان (أفغانستان اليوم)[٦]، وممن عمل ببيعها: عائذ بن حبيب البجلي، وإبراهيم بن ميمون، وعمرو بن نهيك[٧].

ثالثاً: بيع الزُّطي

وهي الثياب المنسوبة إلى الزُّط وهم جيل من الهند أو السودان[٨]، وممن عُرف بها: بشر بياع الزطي، وميسرة بن عبد العزيز، وإسرائيل بن أسامة، وسالم مولى أبان وولده أسباط وحفيده علي بن أسباط، وعبد الله بن أيوب بن راشد الزهري، وعمر بن محمد بن يزيد[٩].

رابعاً: بيع الأنماط

النَّمَط، وهي ضرب من البُسُط له خَمْل رقيق، والجمع أنماط مثل سبَب وأَسْباب[١٠]؛ وممن اشتُهر بها: رزين وداود بن النعمان[١١].

خامساً: بيع البزّ

قال الزبيدي: (البَزُّ: الثِّيابُ. وقيل: ضَرْبٌ من الثِّياب، وقيل: البَزُّ من الثِّياب: أَمْتِعةُ البَزَّاز، أو متاعُ البيتِ من الثِّيابِ خاصّةً ونحوِها..وبائعُه البَزّاز، وحِرفَتُه البِزازَة، بالكسر)[١٢]، وكان جملة من أصحاب الأئمة بزازين، ومنهم: المعلى بن خنيس، أبان بن محمد البجلي المعروف بسندي البزاز، وهب بن محمد القمي، حماد بن راشد الأزدي، إبراهيم بن عبد الحميد الأسدي، محمد بن حمران النهدي[١٣].

سادساً: بيع الأبراد

ومن أشهر من عمل بها محمد أبو الخطاب ابن أبي زينب، مقلاص الأسدي، مولى، كوفي، ثقة، وكان يبيع الأبراد[١٤].

سابعاً: بيع الأكفان

وممن عمل بها ظريف بن ناصح، وسعيد بياع الأكفان[١٥].

ثامناً: - بياع الأكيسة

وممن عرف بها معاذ بن كثير بياع الأكسية الكوفي[١٦].

تاسعاً: - بيع القز

وممن عمل به سماعة بن مهران الحضرمي الكوفي، يكنى أبا محمد، بياع

القز، مات بالمدينة[١٧].

عاشراً: بيع الزندج

وهو نوع من الثياب فنسب إليه، وقيل الزندجي نسبة إلى زندجان إحدى قرى بوشنج، وبوشنج من قرى ترمذ، ومن أشهر من عرف به الحسين بن أبي العلاء، خالد بن طهمان العامري، وقيل الأسدي بالولاء، الزندجي، الكوفي، الأعور. محدث إمامي، حسن ومقبول الحديث، عده البعض من الثقات، وله كتاب. روى كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام، وأدرك الإمام الكاظم عليه السلام. كان يبيع الزندج. روى عنه صفوان بن يحيى، ومحمد بن أبي عمير، وأبان بن عثمان[١٨].

أحد عشر: - بيع القصب

وقد عرف به جماعة منهم: أبو عيينة، عيينة بن ميمون الثقة، عتيبة بن عبد الرحمن الكوفي[١٩].

اثنا عشر: بيع القرب

ومن أشهر من عمل بها حفص بن عيسى الكناسي، الأعور، كان يبيع القرب والأداة في الكوفة[٢٠].

ثلاثة عشر: الصيرفة

كانت مهنة الصيرفة من أشهر المهن والحرف التي عمل بها أصحاب الأئمة في الكوفة؛ ربما لانتشارها في ذلك الزمان، وكونه من مصادر الربح المالي الجيد، وكانت بعض عوائل الشيعة بأجمعهم من الصيارفة من أمثال عائلة سدير بن حُكيم الصيرفي، فقد كان هو وأبوه حُكيم وجده صهيب، وابنه حنان من الصيارفة، وكذلك بسام بن عبد الله الصيرفي، وجعفر بن محمد بن يونس الأحول، محمد بن عذافر بن عيسى، وإسحاق بن عمار وابنه محمد،

و نصر بن سويد وآخرون[٢١].

أربعة عشر: بيع الطحين

وقد عمل ببيع الطحين طائفة من أشهر فقهاء أصحاب الأئمة عليهم السلام، ومنهم: الثقة الجليل والفقيه الكبير محمد بن مسلم الثقفي الطحان، وعبد الرحمن بن أبي عمارة، وإبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الكندي، وإسماعيل بن زيد، وخيبري بن علي[٢٢].

خمسة عشر: النجارة

ومن أشهر من عرف بها، الحسن بن الحسين العرني النجار المدني، عيسى بن داود النجار الكوفي[٢٣].

ستة عشر: - الحدادة

كانت مهنة الحدادة مشهورة ومنتشرة في تلك الأعصار، وقد عمل بها مجموعة من أصحاب الأئمة، ومنهم: ثابت بن هرمز أبو المقدام، شعيب بن أعين الحداد، محمد بن جعفر بن عنبسة الأهوازي الحداد[٢٤].

سبعة عشر: صناعة وبيع الأحذية

وقد عمل بها جملة من الثقات منهم: أيوب بن عطية أبو عبد الرحمن الحذاء، زياد بن عيسى أبو عبيدة الحذاء الكوفي، صباح بن صبيح الحذاء الفزاري[٢٥].

ثمانية عشر: بيع الزيت

ولعل أكثرهم شهرة السفير الجليل والوكيل الفذ عثمان بن سعيد العَمري وابنه محمد، وبسطام بن سابور الزيات، ومحمد بن الحسين بن أبي الخطاب أبو جعفر الزيات الهمداني، ومحمد بن عمرو بن سعيد الزيات المدائني[٢٦].

تسعة عشر: إكراء الجمال والدواب

وهي أيضاً من الأعمال المعروفة في تلك الأزمنة، وقد عمل بها بعض الأجلاء، منهم: هاشم بن حيان أبو سعيد المكاري، صفوان بن مهران الجمال، سالم بن مكرم، محمد بن سكين بن عمار النخعي الجمال، حسان بن مهران الجمال[٢٧].

عشرون: البقالة

وقد وجدت من عمل بها من أصحاب الأئمة ناصح البقال كوفي، مولى، ثقة، روى عن أبي عبد الله عليه السلام[٢٨].

واحد وعشرون: الخبازة

ومن الأمثلة على ذلك، زيد الخباز من أصحاب الصادق عليه السلام، صالح الخباز من أصحاب الرضا عليه السلام[٢٩].

اثنان وعشرون: بيع الرقيق والجواري

وممن عمل بها: أبو جميل المفضل بن صالح الأسدي النخاس، ومنخل بن جميل الأسدي بياع الجواري[٣٠].

ثلاثة وعشرون: القلي

وممن عمل قلاءً: العلاء بن رزين القلاء، وسويد بن مسلم القلاء[٣١].

أربعة وعشرون: الصياغة

وقد عمل بها طائفة من الأصحاب، منهم: صبيح الصائغ، علي بن ميمون الصائغ، الفضل بن عثمان المرادي الصائغ الأنباري، ثابت بن شريح الكوفي، زيد الصائغ[٣٢].

خمسة وعشرون: بيع الطعام

ويقصد به بيع الحبوب والحنطة، وممن عمل بها: سنان بن سنان الشيباني، يعقوب بن شعيب الأزرق، إبراهيم الأزرق الكوفي[٣٣].

ستة وعشرون: بيع التوابل

وممن عمل بها الثقة الجليل والوزير علي بن يقطين مولى بني أسد، وصاحب الإمام الكاظم عليه السلام، توفي سنة ١٨٠ هـ، ويبدو أنه كان قبل ذلك يبيع الأبزار وهي التوابل[٣٤].

وهناك أعمال وحرف أخرى مثل بيع اللؤلؤ، وعمل السكك، وبيع الجلجان (وهو دهن السمسم)، وبيع الدهان، والبناء، وبيع الخرق، والقصابة، والعطارة، والتجارة عموماً، وكذلك النسخ وبيع الورق، والكتابة، والزراعة وغيرها كثير■

---

١) من لا يحضره الفقيه ٣\١٩٢.
٢) الكافي ٥\١١٣، وسائل الشيعة ١٧\١٣٤.
٣) الخصال ص٦٢١، تحف العقول ص١١١، وسائل الشيعة ١٧\١١.
٤) تاج العروس ٦\٤٩٢.
٥) اختيار معرفة الرجال ٢\٥٩٦ ؛ رجال البرقي ص٥٥، ٣٦، ٢٥، ٢٤، ٢١، ٢٠ ؛ رجال النجاشي ص٢٣٧، ١٩٧، ١٤٤ ؛ رجال الطوسي ص٢٠٨، ١٣٣، ١٩٤.
٦) مجمع البحرين ١\٤٧٧.
٧) رجال البرقي ص١٥، ٢٧، ٣٥، ٤٦ ؛ رجال الطوسي ص١٦٧.
٨) مجمع البحرين ٤\٢٥٠.
٩) رجال البرقي ص ١٢، ١٥، ٢٩، ٣٣ ؛ رجال الطوسي ص١٦٥-١٦٦ ؛ رجال النجاشي ص١٠٦، ٢٢١، ٢٨٣.
١٠) لسان العرب ٧\٤١٨.
١١) اختيار معرفة الرجال ٢\٨٤٠ ؛ رجال الطوسي ص٢٠٤.
١٢) لسان العرب ٧\٤١٨.
١٣) رجال النجاشي ص١٤، ٤٣٠ ؛ رجال الطوسي ص١٣٢، ١٥٩، ٢٨١.
١٤) رجال البرقي ص٢٠.
١٥) رجال البرقي ص٣٨ ؛ رجال الطوسي ص١٣٨.
١٦) البرقي ص٤٦.
١٧) رجال الطوسي ص٢٢١.
١٨) رجال الطوسي ص٨٢، الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام ١\٣٩٦.
١٩) رجال البرقي ص٤٤ ؛ رجال الطوسي ص٢٦٢، رجال النجاشي ص٣٠٢.
٢٠) رجال الطوسي ص١٨٩.
٢١) رجال النجاشي ص١١٢، ١٢٠، ١٣٧، ١٤٦، ٢٢٥، ٣٥٩، ٣٦١، ٤٢٧ ؛ رجال الطوسي ص١١٣-١١٤.
٢٢) رجال النجاشي ص٢٣، ٢٨، ١٥٠، ١٤٦، ٢٢٥، ٣٢٣ ؛ رجال الطوسي ص١٤٤، ٢٣٧.
٢٣) رجال النجاشي ص٥١، ٢٩٤.
٢٤) رجال النجاشي ص١١٦، ١٩٥ ؛ رجال الطوسي ص٢٢٣، ٢٩٠، ٣٧٦.
٢٥) رجال النجاشي ص١٠٣، ١٧٠، ٢٠١.
٢٦) رجال النجاشي ص١١٠، ٣٣٤، ٣٦٩ ؛ رجال الطوسي ص٣٨٩.
٢٧) رجال النجاشي ص١٤٧، ٢١٧، ٢٢٧، ٣٦١ ؛ رجال الطوسي ص٣١٩.
٢٨) رجال النجاشي ص٤٢٩.
٢٩) رجال البرقي ص٣٢، رجال الطوسي ص٢١١، ٣٥٩.
٣٠) رجال البرقي ص٣٤ ؛ الفهرست ص٢٥٢ ؛ رجال النجاشي ص٤٢١ ؛ اختيار معرفة الرجال ٢\٦٦٤ ؛ رجال ابن الغضائري ص٨٩.
٣١) رجال النجاشي ص٢٩٨، إيضاح الاشتباه ص١٩٩.
٣٢) رجال النجاشي ص٢٠٢، ٢٧٠، ٣٠٨ ؛ رجال الطوسي ص١٧٤ ؛ الكافي ٢\٥٨٠، ٣\٥١٧.
٣٣) اختيار معرفة الرجال ٢\٧٢٩.
٣٤) اختيار معرفة الرجال ٢\٧٢٩.

طروحات عامة

جهود الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في التقريب بين المذاهب والأديان

م .د. ثائر عباس النصراوي
جامعة الكوفة – كلية التربية

ينابيع

لم تقتصر نشاطات الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء على النشاطات الدينية الحوزوية الاعتيادية من تدريس وكتابة وصلاة وغيرها، بل ساهم في العديد من النشاطات الإسلامية المختلفة وحضر العديد من المؤتمرات والندوات الدولية، ومنها حضوره مؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية الذي عقد في القدس سنة(١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) بمناسبة البعثة النبوية الشريفة للنبي محمدﷺ[١]. وحضر المؤتمر ما يقرب من (١٥٠٠)[٢] عالم من علماء المسلمين، من أمثال الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ نعمان الأعظمي وبهجت حسن الواعظ ومحمد إقبال من الباكستان ومفتي القدس محمد أمين الحسيني، ومَثَّلَ علماء الشيعة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء، وقد أقيم اللقاء في (التكية البخارية) بجوار المسجد الأقصى[٣].

وقد أقام الشيخ الصلاة في المسجد الأقصى وأمَّ الحاضرين وكان عددهم (١٥٠) شخصاً، أغلبهم من علماء المذاهب الإسلامية المختلفة، وفي الجلسة الثانية عشرة للمؤتمر ألقى خطاباً مؤثراً، كان له صدى واسعاً في العالم الإسلامي آنذاك[٤].

وقد تحدث في هذا الخطاب عن ماضي المسلمين وحاضرهم، وما وصلوا إليه من تأخر وتدهور، وأكد الشيخ على ضرورة الاتحاد فيما بينهم والابتعاد عن التفرقة، كما تطَّرق إلى أهمية المسجد الأقصى في القدس، وأهمية القدس في فلسطين،

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في فلسطين

فضلًا عن أهمية فلسطين في البلاد العربية والإسلامية[٥].

وكان للشيخ كذلك اتصال مميز وبارز وعلاقات قوية مع دار التقريب في مصر، فكان له اتصالات مع علماء الأزهر الشريف للتشجيع على فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية، إذ كان يدعو المسلمين لتحمل مسؤولياتهم بأنفسهم، ويحذر من التزام المسلمين بالأقوال دون الأفعال، متبعين في ذلك قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**) (الصف: ٢-٣). ويدعوهم إلى العمل الجدّي لمصلحة جميع المسلمين من دون تمييز فيقول: (لا نزال نحن معاشر المسلمين، بالنظر العام نتعلق بحبال الآمال، ونكتفي بالأقوال عن الأعمال، وندور حول القشور ولا نصل إلى اللب، على العكس مما عليه أسلافنا، نحن نحسب إننا إذا قلنا قد اتحدنا واتفقنا، يحصل الغرض المهم من الاتحاد، ونكون كأمة من الأمم الحية، التي نالت بوحدتها عزها وشرفها، لذلك تجدنا لا نزداد إلا هبوطاً، ولا تنال مساعينا إلا إخفاقاً وحبوطاً، ولا تجد لأعمالنا وأقوالنا أثراً)[٦].

ليس هذا فحسب بل إنه سافر إلى (كراتشي) في باكستان في ٧/شباط/١٩٥٢م لحضور المؤتمر الإسلامي هناك، وقد

لقي حفاوة كبيرة من الحكومة الباكستانية، إذ ألقى خطبة في هذا المؤتمر بقيت خالدة لمدة من الزمن. وأذيعت في أنحاء العالم آنذاك وأحدثت دوياً من الاستحسان[٧]، وعندما رجع إلى البصرة استقبله أهلها استقبالاً ليس له نظير[٨].

ومن كل هذه السفرات والمؤتمرات كان الشيخ يهدف إلى أمرين أساسيين هما :-

١- مكافحة السلبيات عند الأمة الإسلامية.

٢- تعميق الإيجابيات في الأمة الإسلامية.

والملاحظ إن لهذه السفرات أثرها البالغ في إثراء الشيخ كاشف الغطاء ثقافياً ومعرفياً إذ زادت من ثقافته بنسبة كبيرة، وذلك بسبب أن السفر فيه فوائد جمة، فهو يُطلِعَ الشخص على أحوال الأمم والشعوب، ومعرفة أفكارهم واتجاهاتهم وميولهم وعاداتهم وتقاليدهم وغيرها من الأمور الأخرى، وهذه المسائل تزيد من ثقافة الشخص ومعرفته، لأنه يتعلم شيئًا جديدًا من هذه الأمم، فضلاً عن إنه يحاول قراءة تأريخ هذه الأمم التي يسافر إليها وما كتب عنها – وليس هذا بالضروري دائماً – لمعرفتهم معرفة جيدة تساعده على فهمهم والتعامل معهم.

فهذه الأمور قد زادت من ثقافة الشيخ وأعطته دائرة واسعة من العلاقات بل أصبح الشيخ من الشخصيات الإسلامية المعروفة على نطاق العالم، وهذه الصفة العالمية أعطت الشيخ كاشف الغطاء زخماً إعلامياً واسعاً، حتى أصبح من الشخصيات التي يشار إليها بالبنان، ووصل إلى شهرة لم يصل إليها إلا القلائل من علماء النجف الأشرف. حتى إن أغلب العلماء والمفكرين في ذلك الوقت عندما كانوا يأتون لزيارة النجف يطلبون لقاءه وهذا ما حدث عندما زارت البعثة المصرية النجف الأشرف وكان من ضمن أعضائها الكاتب المصري المعروف (أحمد أمين) صاحب كتاب (ضحى الإسلام) وما دار بينهما من نقاش طويل أبدى فيه الشيخ كاشف الغطاء براعة وإبداعاً لا يضاهى، من خلال إلقائه لمحاضرة طويلة دون أن يحضر لها، وهذا إن دل على شيء يدل على ثقافته الموسوعية وحدة ذكائه وحافظته القوية، وهذه العوامل كلها من صفات العلماء.

واستمرت هذه اللقاءات مع العديد من الشخصيات الأدبية والثقافية والعلمية ومن ضمنها لقاء مع الشيخ (أمين الريحاني) فيلسوف الفريكة ومناقشته له في العديد من المواضيع الأدبية والفلسفية والدينية، الذي أصدر على أثر هذا اللقاء كتابه القيم (المراجعات الريحانية) بجزئين، وهو عبارة عن مجموعة من المباحث التأريخية والفلسفية التي جرت بينهما، إذ طبع الجزء الأول منه في بيروت والجزء الثاني في صيدا، ثم أعيد طبعه في الأرجنتين[٩].

وكان للنشاط السياسي دور مهم عند الشيخ كاشف الغطاء، إذ كان يتصل بالمسؤولين محاولاً وضع أو إيجاد الحلول لها، وهذا ما نلاحظه عندما التقى الشيخ بالسفيرين الأمريكي والبريطاني في بغداد، وقد طبع هذان اللقاءان في كتاب خاص سمي(المحاورة مع السفيرين)[١٠].

وكذلك لقاؤه بملك (شاه) إيران أكثر من مرة، وذلك بناءً على طلب الشاه نفسه. ففي صيف عام ١٣٦٩ هـ سافر إلى

إيران فبعث له شاه إيران رسولاً يرحب به ويدعوه إلى لقائه فكتب له مع الرسول: إذا رأيتم العلماء على أبواب الملوك فقولوا بئس العلماء وبئس الملوك، وإذا رأيتم الملوك على أبواب العلماء فقولوا نعم الملوك ونعم العلماء. فزاره الشاه بنفسه وقدم له هدايا نفيسه فباع الشيخ معظمها وكان من جملتها سيارة قيمة ووزع أثمانها على الفقراء وعلى طلاب بعض المدارس الدينية في طهران[١١] وهذا الأمر يدل على عظم نفس هذا العالم الجليل.

أما اتصاله بالعامة فقد كان واضحاً لا يحتاج إلى دليل، فأي شخص كان باستطاعته الحضور إلى مجلسه والسلام عليه وسؤاله أو حتى مراسلته[١٢]، وهذا ما حدث عندما راسله أحد أهالي البصرة يعمل في ميناء البصرة كمترجم، إذ طلب منه – أي المترجم – أحد المستشرقين أن يكتب له موضوعًا عن السجود على التربة الحسينية ليجعلها ضمن الموسوعة البريطانية، فراسل الشيخ كاشف الغطاء حول هذا الموضوع ونتيجة لهذا الأمر ظهر كتاب الشيخ (الأرض والتربة الحسينية)[١٣]. وكان للشيخ كاشف الغطاء نشاط علمي واضح من خلال الدرس فكانت له حوزة – حسب ما يذكر بعضهم – تتألف من الفضلاء ورواد العلم الذين ليس لهم غرض إلا تحصيل الكمال، وكان تدريسه في مسجد الهندي تارة والصحن العلوي من طرف باب الطوسي، أو مقبرة الميرزا الشيرازي، إذ كان يكتب شرح العروة الوثقى ليلاً ويلقيه على طلابه نهاراً[١٤]■

---

١) الحياة الفكرية في النجف الأشرف/ محمد باقر أحمد البهادلي / ص٢٢٣ .

٢) وهناك من يقول إن عدد الحضور بشكل عام – من علماء وغير علماء – قد وصل إلى خمسين ألف شخص. ينظر: معارف الرجال/ محمد حرز الدين /ج٢ – ص٢٧٣.

٣) المحاورة مع السفيرين البريطاني والأمريكي في بغداد/ محمد الحسين كاشف الغطاء – ص٤- ٤١.

٤) الحياة الفكرية في النجف الأشرف/ محمد باقر أحمد البهادلي/ ص٢٢٣.

٥) أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف/ محمد حسين الصغير/ ص١، ٢.

٦) النجف التوحيدي/ نصيف الجبوري ـ ضمن موسوعة النجف الأشرف ـ إسهامات في الحضارة الإنسانية /ج١ ـ ص٣٩٩.

٧) شعراء الغري/ علي الخاقاني ـ ج١ ـ ص١٢١.

٨) جنة المأوى/ محمد الحسين كاشف الغطاء / ص٥١ .

٩) ينظر كاشف الغطاء – محمد الحسين – أصل الشيعة وأصولها – ص٨-٩.

١٠) ينظر كاشف الغطاء – محمد الحسين – المحاورة مع السفيرين.

١١) ينظر – كاشف الغطاء – محمد الحسين – جنة المأوى -ص٤٩ -٥٠..

١٢) ينظر – الخاقاني – علي – شعراء الغري – ص١١٧ -١١٨.

١٣) ينظر – كاشف الغطاء – محمد الحسين – الأرض والتربة الحسينية – مطبعة النبراس – النجف الأشرف – سنة ١٤١٦هـ.

١٤) كاشف الغطاء – محمد الحسين – ص ٢٥-٢٦.

أجوبة مسابقة العدد (٦٥)
وأسماء الفائزين

السـؤال الأول: ب- الشيخ البهائي

السـؤال الثاني: أ- ١٠ سنوات

السـؤال الثالث: أ- ١٢ رجلاً

السـؤال الرابع: ج- رقية بنت الصهباء التغلبية

السؤال الخامس: ب- إسماعيل

السؤال السادس: أ- ماريا القبطية

السـؤال السابع: أ- ٦٠٢هـ/ الحلة

السـؤال الثامن: ب- الشيخ صاحب الجواهر

السـؤال التاسع: ب- عيد الغدير

الفائز بالجائزة الأولى: فالح حسن علي/ الحلة/ المهندسين

الفائز بالجائزة الثانية: حسيبة جواد/ النجف الأشرف/ حي المعلمين

الفائز بالجائزة الثالثة: محمد علي كاظم/ بغداد/ الكاظمية

على الفائزين مراجعة مقر المؤسسة لاستلام جوائزهم
ويسقط حق المطالبة بالجوائز بعد مرور ثلاثة أشهر من صدور العدد.

مسابقة العدد (٦٧)

١ وأبيضَ يُستسقى الغمام بوجهه
ثمال اليتامى عصمة للأراملِ
تطوف به الهلاكُ من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفواضلِ
أبيات من قصيدة لامية أنشأها أبو طالب بن عبد المطلب عليه السلام في حق ابن أخيه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله، فما المناسبة التي قالها فيها؟
أ- حينما طلبت منه قريش أن يسلمها محمداً صلى الله عليه وآله لتقتله
ب-حينما أجدبت الأرض فأخرجه صلى الله عليه وآله للاستسقاء
ج- حينما خطب له صلى الله عليه وآله السيدة خديجة بنت خويلد

٢ القاسم بن محمد بن أبي بكر، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمامين السجاد والباقر عليهما السلام، كان ثقة، فقيهاً، كثير الحديث، ورعاً، من سادات التابعين، وأفضل أهل زمانه، مات سنة ١٠١هـ، وقيل ١٠٧هـ، فما هي علاقته النسبية بالإمام جعفر الصادق عليه السلام؟
أ- جده لأمه ب- خاله ج- ليس له علاقة معه

٣ نزل الأمين جبرائيل على النبي صلى الله عليه وآله فقال يا محمد، إن الله عز وجل قد شفّعك في خمسة: بطن حملك وهي آمنة بنت وهب، وصلب أنزلك وهو عبد الله، وحجر كفلك وهو عبد المطلب، وبيت آواك وهو بيت أبي طالب، وفي أخ لك في الجاهلية، فمن هو؟
أ- الجلاس بن علقمة ب- عبد الله بن عباس
ج- القعقاع بن شور

٤ س٦/ لما كان يوم صفين رتب الإمام علي عليه السلام جيشه وأخرج لواء رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ير ذلك اللواء منذ قبض رسول الله فعقده لصحابي جليل وابن صحابي معروف فمن هو؟
أ- عمار بن ياسر ب- خزيمة بن ثابت ج- قيس بن سعد

ينابيع ٦٧

جواب السؤال الأول
أ
ب
ج

جواب السؤال الثاني
أ
ب
ج

جواب السؤال الثالث
أ
ب
ج

جواب السؤال الرابع
أ
ب
ج

الاسم الثلاثي: العنوان:

كوبون المسابقة

جوائز المسابقة

الأولى: ١٠٠،٠٠٠ دينار. الثانية: ٧٥،٠٠٠ دينار. الثالثة: ٥٠،٠٠٠ دينار. يتعين الفائز بإجراء القرعة.

شروط المسابقة

* الإجابة عن ثمانية أسئلة فقط. * يوضع الكوبون في ظرف ويكتب عليه(مسابقة مجلة بنابيع) مع الاسم الثلاثي الصريح والعنوان الكامل ورقم الهاتف بوضوح ويرسل على عنوان المؤسسة. وبخلافه تهمل الإجابات. * آخر موعد لاستلام الأجوبة هو ١/ جمادى ٢/ ١٤٣٧هـ

جواب السؤال السابع	أ	ب	ج

جواب السؤال السادس	أ	ب	ج

جواب السؤال التاسع	أ	ب	ج

جواب السؤال الخامس	أ	ب	ج

جواب السؤال الثامن	أ	ب	ج

٥ س٥/ كان يوم حنين يوماً مشهوداً، فعند اشتداد الحرب، اضطرب المسلمون فانهزم الكثير منهم ولم يثبت مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عدد من أعوانه المقربين، كان أحدهم أيمن بن أم أيمن وفيهم نزلت الآية المباركة: (**ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)، فكم كان عدد الذين ثبتوا معه صلى الله عليه وآله؟

أ- خمسة ب- سبعة ج- عشرة

٦ الإمام أبو محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام، وصفه اثنان من أغلظ الحراس اللذين وكلا بسجنه فقالا عنه: (ما نقول في رجل يصوم نهاره، ويقوم ليله كله، ولا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة) مات عليه السلام مسموماً في ٨ ربيع الأول سنة ٢٦٠، فكم كانت مدة إمامته عليه السلام؟

أ- ٣ سنوات ب- ٦ سنوات ج- ٨ سنوات

٧ الحر العاملي، محمد بن الحسن، ألف كتاب تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة الذي اشتهر مختصراً بـ(الوسائل) ولد في لبنان بمشغرة سنة ١٠٣٣هـ ومات سنة ١١٠٤ هـ فأين كانت وفاته؟

أ- الكاظمية ب- حلب ج- مشهد المقدسة

٨ (إن لله جنوداً من عسل) عبارة قالها الطاغية معاوية ابن أبي سفيان عندما كان يسمع بقتل الصلحاء بالسم المخلوط بالعسل الذي كان يدفعه لولاته ليقوموا بقتلهم، فمن أشهر شخصية قال فيه معاوية هذه العبارة؟

أ- مالك الأشتر ب- عدي بن حاتم

ج- الحارث الهمداني

٩ وقبر بأرض الجوزجان محله...وأخرى بباخمرا لدى الغربات بيت من أبيات قصيدة دعبل بن علي الخزاعي التائية، فأي قبر قصد بإشارته إلى أرض الجوزجان؟

أ- إبراهيم بن عبد الله المحض

ب- القاسم بن موسى الكاظم عليه السلام

ج- يحيى بن زيد الشهيد

قناة المنهاج الفضائية

MINHAJ TV CHANNEL

للحقيقة نهجها

www.minhaj-tv.com

info@minhaj-tv.com

التردد: 11641 أفقي | معدل الترميز: 27500 | القمر: نايل سات

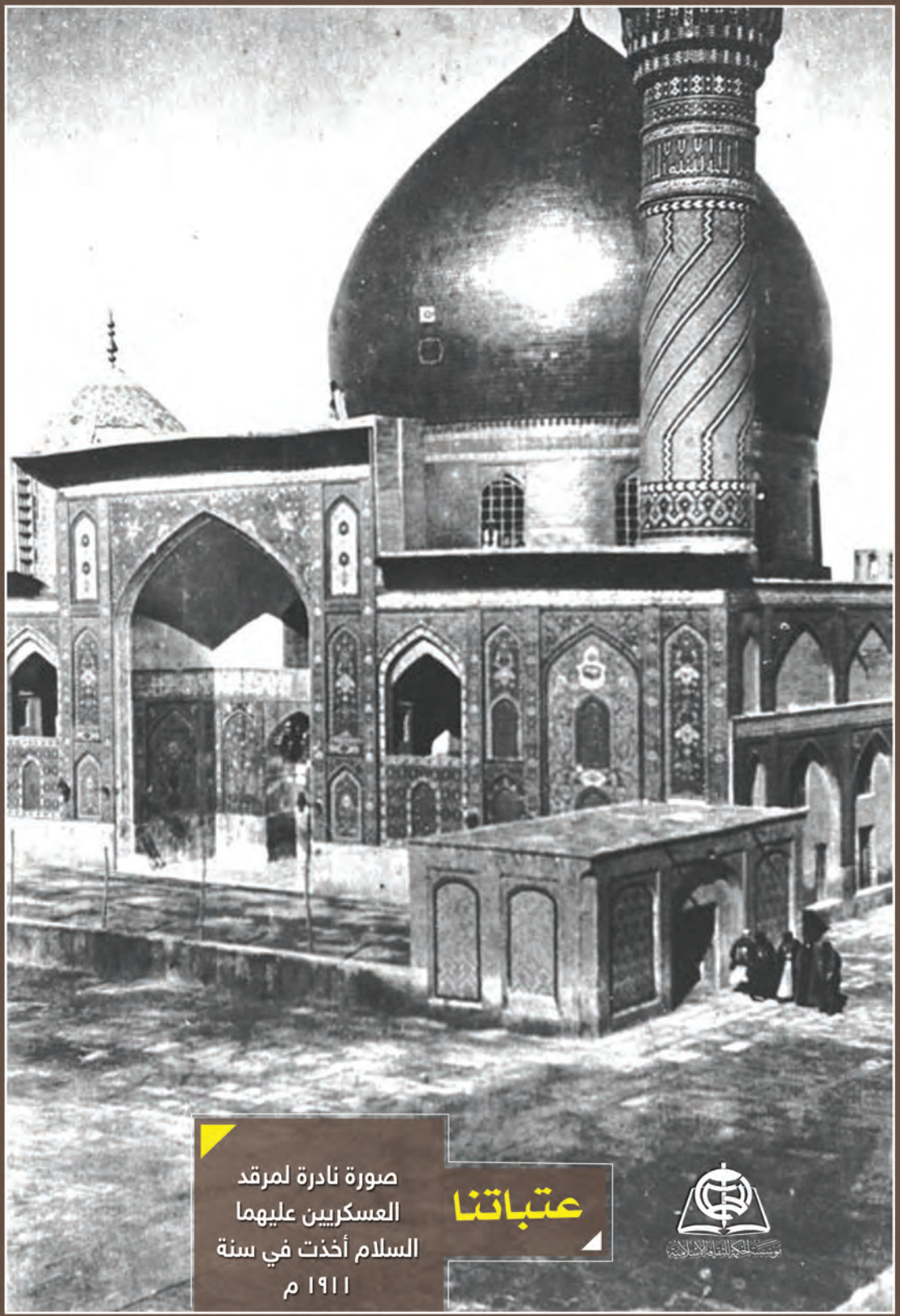

عتباتنا

صورة نادرة لمرقد العسكريين عليهما السلام أخذت في سنة ١٩١١ م

مؤسسة الحكمة للثقافة الإسلامية